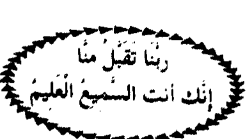
صيفٌ بلا معاصي

تأليف فضيلة الشيخ
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين









الطبعة الأولى ٢٠٠٨

رقم الإيداع

٢٠٠٧/٨٨٢٢

الترقيم الدولي

977/331/447/2



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - اسكندرية

تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت : ٥٢٢٢٠٠٢-٠٥٤١١٩١٠

E-mail: dar_aleman@hotmail.com

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا،من يهده الله فلا مُضل له ،ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾[الأحزاب : ٧٠-٧١] .

أما بعـد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هديَ محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

سبحـان مـن ﴿ **جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا** (٦٢) ﴾ [الفرقان: ٦٢] ، وأودع في الدنيا من دلائل قدرته ومظاهر عظمته ما امتلأت به النفوس إجلالاً وسروراً ﴿ **لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** (٤٠) ﴾ [يس : ٤٠]. وبث لنا في أنفسنا في الكون من حولنا آيات بينات أخذت بالعقول والألباب .

وفـي كل شـيء لـه آيـة
تـدل علـى أنـه الواحـد

وجعل من كل شيء زوجين اثنين ، صيف وشتاء ، وحر وبرد ، وسماء وأرض ، وليل ونهار ، وشمس وقمر ، وذكر وأُنثى ، عظة وعبرة وذكرى لأولي الألباب ، قال

تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾

[آل عمران: ١٩٠-١٩١] .

روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ قام يصلي ، فأتاه بلال يُؤذنه بالصلاة فرآه يبكي فقال : يارسول الله ، أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ! فقال ﷺ : **يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً ، ولقد أنزل الله عليَّ الليلة آية : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾** ، ثم قال : **ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها** » .

وقد ثبت عند البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجده ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « **بت عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ، ثم رقد :**

فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال : ﴿ إنّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] ثم قام فتوضأ واستن ، ثم صلى إحدى عشرة ركعة ، ثم أذن بلال فصلى ركعتين ، ثم خرج فصلى بالناس الصبح » (١) .

وقد ورد أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة بعد ما مضى ليل فنظر إلى السماء وتلا هذه الآية ﴿ إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ ، ثم قال : « اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن شمالي نوراً ، ومن بين يدي نوراً ، ومن خلفي نوراً ، ومن فوقي نوراً ، ومن تحتي نوراً ، وأعظم لي نوراً يوم القيامة » ، وهذا الدعاء ثابت في بعض طرق الصحيح .

فانظر كم من الآيات والعِظات والعِبر نمر عليها ونحن

---

(١) رواه البخاري ، ومعنى : استن أي : استخدم السواك .

عنها مُعرضون وغافلون ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] ، ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور : ٤٠] .

وتمر على العبد السنة بعد السنة وهو مستثقل في نوم الغفلة ، ويأتي عليه العام بعد العام وقد غرق في بحر الخطايا فعام ، شاهدت الآيات والعبر كلها توالت عليك الأعوام والشهور والفصول ، وسمعت الآيات والسور ولم تنتفع بما سمعت ولا بما رأيت من عظائم الأمور ، لقد صار ليلك كنهارك ، وصيفك كشتاؤك ، كله لهو ولعب وضياع ، لقد أصبح الصيف عبارة عن ارتياد لشواطئ البحر بحيث يختلط الرجال والنساء بملابس البحر « المايوه » مما لا تستطيع معه النظر لا لرجل ولا لامرأة ، لما هم عليه من عري وخلاعة ، وهذا يفعلونه بالنهار ، وغالباً ما يكون الليل للذهاب للسينما والمسرح ودور اللهو ، فالصيف هو فصل الراحة والإجازة من العمل والدراسة .

وهذا على عكس مما كان عليه سلفنا الصالح

﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) ﴾ [الذاريات :١٧-١٨] .

لقد واصلوا بالليل والنهار ، والصيف والشتاء في طاعة الله ، وكان الصيف باعثاً لهم على التدبر في آيات الله ، والجهاد في سبيل الله والخوف من سطوه ونقمته سبحانه ، ولذلك غيَّر بهم جل وعلا وجه الأرض و ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١].

ولما تبدل الحال وتغيَّر رأيت أن أسوق هذه النصيحة وسميتها « **التطواف في مغاني الصيف والإصطياف** »، وذكرت فيها النصوص الشرعية والمعاني التي تتعلق بالصيف، وما كان عليه السلف الصالح ، وما آل إليه واقعنا، عساها تكون شحذاً للهمم على حسن التأسي ، ومراجعة النفس قبل فوات الأوان ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣) مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤) ﴾ .

[الروم : ٤٣ – ٤٤].

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ، ولا تؤخذنا بما فعل السفهاء منا ، واجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أعمارنا أواخرها ، وخير أيامنا يوم نلقاك ، إنك أكرم مسئول وأعظم مأمول ، وأنت حسبنا ونعم الوكيل .

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين



دعوة للتفكر والتأمل والتدبر

روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « أتت قريش اليهود فقالوا : بمَ جاءكم موسى ؟ قالوا : عصاه ويده بيضاء للناظرين ، وأتوا النصارى فقالوا : كيف كان عيسى؟ قالوا : كان يُبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى ، فأتوا النبي ﷺ فقالوا : ادع لنا أن يجعل لنا الصفا ذهباً ، فدعا ربه فنزلت هذه الآية ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ** (١٩٠) ﴾ [آل عمران : ١٩٠] ، فليتفكروا فيها » .

ومعنى الآية ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ ، كما يقول ابن كثير: أي هذه في ارتفاعها واتساعها ، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها ، وما فيها من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات ، وثوابت وبحار وجبال وقفار ، وأشجار ونبات وزروع وثمار ، وحيوان ومعادن ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص

﴿ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي تعاقبهما وتقارضهما الطول والقصر ، فتارة يطول هذا ويقصر هذا ، ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيراً ويقصر الذي كان طويلاً وكل ذلك تقدير العزيز العليم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ لآيَاتٍ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ أي العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٥-١٠٦] ، ثم وصف الله تعالى أولي الألباب فقال: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ كما ثبت في الصحيحين عن عمران بن حصين رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال: « **صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلي جنبك**» ، أي لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم ،بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [آل عمران:

١٩١] ، أي يفهمون ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته واختياره ورحمته .

❁ وقال الشيخ أبو سليمان الداراني : إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله عليَّ فيه نعمة ولي فيه عبرة ... .

❁ وعن الحسن البصري أنه قال : تفكر ساعة خير من قيام ليلة .

❁ وقال الفضيل : قال الحسن : الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك .

❁ وقال سفيان بن عيينة : الفكرة نور يدخل قلبك وربما تمثل بهذا البيت :

إذا المرء كانت له فكرة

ففي كل شيء له عبرة

وعن عيسى عليه السلام أنه قال : « طوبى لمن كان قيله تذكراً ، وصمته تفكراً ، ونظره عبراً » .

❁ قال لقمان الحكيم: « إن طول الوحدة ألهم للفكرة ،

وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة » .

✿ وقال وهب بن منبه : « ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم،ولا فهم امرؤ قط إلا علم،ولا علم امرؤ قط إلا عمل» .

✿ وقال عمر بن عبد العزيز : « الكلام بذكر الله عز وجل حسن ، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة » .

✿ وقال مغيث الأسود : « زوروا القبور كل يوم تفكركم، وشاهدوا الموقف بقلوبكم، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين ، إلى الجنة أو النار ، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها وأطباقها ... » .

✿ وقال عبد الله بن المبارك: « مر رجل براهب عند مقبرة ومزبلة فناداه فقال : ياراهب إن عندك كنزين من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر ،كنز الرجال وكنز الأموال » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: « أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخربة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين، فيقول: أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه » .

✿ وقال الحسن البصري : « يا ابن آدم كُلْ في ثلث بطنك، واشرب في ثلثه ، ودع ثلثه الآخر تتنفث للفكرة » .

وقال بعض الحكماء : « من نظر إلى الدنيا بغير العبرة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة » .

✿ وقال الحسن عن عامر بن عبد قيس قال : سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يقولون: « إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان للتفكر » .

وعن عيسى عليه السلام أنه قال : « يا ابن آدم الضعيف ، اتق الله حيثما كنت ، وكن في الدنيا ضعيفاً ، واتخذ المساجد بيتاً ،وعلم عينيك البكاء ، وجسدك الصبر ، وقلبك الفكر ، ولا تهتم برزق غد » .

وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه بكى يوماً بين أصحابه فسئل عن ذلك ، فقال : فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها ، ما تكاد شهواتها

تنقضي حتى تكدرها مراراتها ، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواعظ لمن ادكر ... .

وقد ذمَّ الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته فقال : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦] ،ومدح عباده المؤمنين ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ ، قائلين : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً ﴾ [آل عمران: ١٩١] ، أي ما خلقت هذا الخلق عبثاً ، بل بالحق لتجزي الذين أساءوا بما عملوا وتجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا : ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ ، أي عن أن تخلق شيئاً باطلاً ، ﴿ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ، أي يا من خلق الخلق بالحق والعدل ، يا من هو منزه عن النقائص والعيب والعبث ، قنا عذاب النار بحولك وقوتك ... ووفقنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم وتجيرنا من عذابك الأليم .

إذا أقبل الصيف فتذكر

أولاً : كل شيء في هذه الدار يُذكّر بالله والدار الآخرة:

قال ابن رجب في « لطائف المعارف » :

خرجا في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **اشتكت النار إلى ربها ،فقالت : يا رب أكل بعضي بعضاً ، فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من الحر من سموم جهنم وأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم** » .

لا شك أن الله تعالى خلق لعباده دارين يجزيهم فيها بأعمالهم مع البقاء في الدارين من غير موت ، وخلق داراً معجلة للأعمال وجعل فيها موتاً وحياة ، وابتلى عباده فيها بما أمرهم به ونهاهم عنه ، وكلفهم فيها الإيمان بالغيب ومنه الإيمان بالجزاء ، والدارين المخلوقتين له ، وأنزل بذلك الكتب ، وأرسل به الرسل ، وأقام الأدلة الواضحة على الغيب الذي أمر بالإيمان به ، وأقام علامات وأمارات تدل

على وجود داري الجزاء ، فإن إحدى الدارين المخلوقتين للجزاء دار نعيم محض لا يشوبه ألم ، والأخرى دار عذاب محض لا يشوبه راحة ، وهذه الدار الفانية ممزوجة بالنعيم والألم فما فيها من النعيم يذكر بنعيم الجنة ، وما فيها من الألم يذكر بألم النار ، وجعل الله تعالى في هذه الدار أشياء كثيرة تذكر بدار الغيب المؤجلة الباقية ، فمنها ما يذكر بالجنة من زمان ومكان ، أما الأماكن فخلق الله بعض البلدان كالشام وغيرها ، فيها من المطاعم والمشارب والملابس وغير ذلك من نعيم الدنيا ما يذكر بنعيم الجنة ، وأما الأزمان فكزمن الربيع ، فإنه يذكر طيبه بنعيم الجنة وطيبها ، وكأوقات الأسحار فإن بردها يذكر ببرد الجنة .

وفي الحديث الذي أخرجه الطبراني : « إن الجنة تفتح في كل ليلة في السحر فينظر الله إليها ، فيقول لها : ازدادي طيباً لأهلك فتزداد طيباً » ، فذلك برد السحر الذي يجده الناس .

وروى سعيد الجريري عن سعيد بن أبي الحسن :

« أن داود عليه السلام قـال : يا جبريل أي الليل أفضل؟ ، قال : ما أدري غير أن العرش يهتز إذا كان من السحر ، ألا ترى أنه يفوح ريح كل الشجر » .

ومنهـا مـا يذكـر بالنار ، فـإن الله تعـالى جعل في الدنيـا أشياء كثيرة تذكر بالنار المعدة لمن عصاه وما فيها من الآلام والعـقـوبات من أمـاكن وأزمـان وأجسـام وغيـر ذلك ، أمـا الأماكن فكثيـر من البلدان مـفرطة الحر أو البرد ، فـبردها يذكر بزمهرير جهنم ، وحرها يذكر بحر جهنم وسمومها ، وبعض البـقـاع يذكـر بالنار، كل مـا في الدنيـا يدل على صانعه ويذكر به ويدل على صفـاته ، فـمـا فيـهـا من نعيم وراحة يدل على كرم خالقه وفضله وإحسانه وجوده ولطفه ، وما فيها من نقمة وشدة وعذاب يدل على شدة بأسه وبطشه وقهره وانتقـامه ، واختلاف أحوال الدنيا من حر وبرد وليل ونهار وغير ذلك يدل على انقضائها وزوالها ... وأما الأزمان فشدة الحر والبرد يذكر بما في جهنم من الحر والزمهرير ، وقد دل هذا الحديث الصحيح على أن ذلك من تنفس النار

في ذلك الوقت ، قال الحسن : كل برد أهلك شيئاً فهو من نفس جهنم ، وكل حر أهلك شيئاً فهو من نفس جهنم ... .

أبواب النار مغلقة وتفتح أحياناً أبوابها كلها عند الظهيرة، ولذلك يشتد الحر حينئذ فيكون في ذلك تذكرة بنار جهنم، وأما الأجسام المشاهدة في الدنيا المذكرة بالنار فكثيرة منها الشمس عند اشتداد حرها ، وقد روى أنها خلقت من النار وتعود إليها .

ثانياً : آثار تهدى :

ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « **إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة ، فإن شدة الحرّ من فيح جهنم** » ، وروى : « **إذا كان يوم شديد الحر فقال العبد : لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم ، اللهم أجرني من حر جهنم ، قال الله لجهنم : إن عبداً من عبادي قد استجار بي منك وقد أجرته، وإذا كان يوم شديد البرد ، فقال العبد : لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم ،**

اللهم أجرني من زمهرير جهنم،قال الله لجهنم: إن عبداً من عبادي قد استجار بي من زمهريرك ، وإني أشهدك أني قد أجرته ، قالوا : وما زمهرير جهنم ؟ قال ﷺ : بيت يلقي فيه الكافر فيتميز من شدة برده » [(١)] .

وروى أن رجلاً في عهد النبي ﷺ نزع ثيابه ثم تمرغ في الرمضاء وهو يقول لنفسه : ذوقي، نار جهنم أشد حراً ، جيفة بالليل بطال بالنهار ، فرآه النبي ﷺ فقال : يا رسول الله غلبتني نفسي ، فقال النبي ﷺ : « **لقد فتحت لك أبواب السماء وباهى الله بك الملائكة** » [(٢)] .

قال ابن رجب : وأما البروز للشمس تعبداً بذلك فغير مشروع ، فإن النبي ﷺ قال لأبي اسرائيل لما رآه نائماً في الشمس ، فأمره أن يجلس ويستظل، وكان نذر أن يقوم في الشمس مع الصوم، فأمره أن يتم صومه فقط ، وإنما يشرع البروز للشمس للمحرم كما قال ابن عمر رضي الله عنهما لمحرم رآه قد

---

(١) قال ابن رجب : حديث مرفوع خرجه عثمان الدارمي وغيره .

(٢) خرجه الطبراني بإسناده .

استظل : أضح لمن أحرمت له ، أي ابرز إلى الضحاء وهو حر الشمس ، وكان بعضهم إذا أحرم لم يستظل [١] فقيل له : لو أخذت بالرخصة ، فأنشد :

ضحيت له كي أستظل بظله
إذا الظل أضحى في القيامة قالصاً
فوا أسفاه إن كان سعيك خائباً
ووا أسفاه إن كان حظك ناقصاً

ثالثاً : أحوال الأفاضل عظة وتذكرة :

قال أبو هريرة رضي الله عنه : « نعم البيت الحمام يدخله المؤمن فيزيل به الدرن، ويستعيذ بالله فيه من النار » ، وكان السلف يذكرون النار بدخول الحمام ، فيحدث لهم ذلك عبادة .

دخل ابن وهب الحمام فسمع تالياً يتلو ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ ﴾ [غافر : ٤٧] فغشي عليه .

وتزوج صلة بن أشيم ، فدخل الحمام ثم دخل على

---

(١) ما رآه ابن عمر - رضي الله عنهما - وغيره لا ينافي جواز الإستظلال بالخيمة ونحوها للمحرم .

زوجته تلك الليلة فقام يصلى حتى أصبح ، وقال :« دخلت بالأمس بيتاً اذكرنى النار ، ودخلت الليلة بيتاً ذكرت به الجنة ، فلم يزل فكري فيهما حتى أصبحت » .

وكان بعض السلف إذا أصابه كرب الحمام يقول : « يا بر يا رحيم ، مُنّ علينا وقِنا عذاب السموم »

صب بعض الصالحين على رأسه ماء من الحمام فوجده شديد الحر ، فبكي وقال : ذكرت قوله تعالى : ﴿ **يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ** ﴾ [الحج : ١٩] .

مر إبراهيم بن أدهم بشواء « لحم يُشوى » فأغمى عليه، ولما أُتى بماء بارد في يوم شديد الحر بكي وقال : تذكرت قول أهل النار : ﴿ **أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ** ﴾ [الأعراف : ٥٠] ، وقال تعالى : ﴿ **وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ (٥٤)** ﴾ [سبأ : ٥٤] .

ولما حضرت معاذ بن جبل الوفاة قال : « اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أني لم

أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر [١] ، وقيام الليل ، ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء في حلق الذكر » .

وكان رضي الله عنه إذا أقبل عليه الليل قال : اللهم قد هدأت العيون ، وغارت النجوم، ونامت الجفون، وأنت حي قيوم ، اللهم هب لي هدى نرده إليّ يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد .

ولما نزل الموت بمحمد بن المنكدر بكي فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : ما أبكي حرصاً على الدنيا ، ولا جزعاً من الموت ، ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر ، وقيام ليال الشتاء .

قال الحسن : كانوا ـ يعني الصحابة ـ يقولون : الحمد لله الرفيق الذي لو جعل هذا الخلق خلقاً دائماً لا ينصرف لقال الشاك في الله: لو كان لهذا الخلق رب لحادثه ، وإن الله قد حادث بما ترون من الآيات ، إنه جاء بضوء طبق ما بين

(١) أي الصيام في الأيام الشديدة الحر .

الخافقين وجعل فيها معاشاً وسراجاً وهاجاً ، ثم إذا شاء ذهب بذلك الخلق وجاء بظلمة طبقت ما بين الخافقين ، وجعل فيه سكناً ونجوماً وقمراً منيراً ، وإذا شاء بني بناء جعل فيه المطر والرعد والبرق والصواعق ما شاء ، وإن شاء صرف ذلك الخلق ، وإذا شاء جاء ببرد يقرقف الناس ، وإذا شاء ذهب بذلك ،وجاء بحر يأخذ بأنفاس الناس ، ليعلم الناس أن لهذا الخلق رباً يحادثه بما ترون من الآيات ، كذلك إذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة .

وقال خليفة العبدي : لو أن الله لم يعبد إلا عن رؤية ما عبده أحد، ولكن المؤمنين تفكروا في مجيء هذا الليل إذا جاء فملأ كل شيء،وطبق كل شيء،ومحا سلطان الليل، وتفكروا في﴿ **وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ [البقرة:١٦٤] ، وتفكروا في ﴿ **الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ** ﴾[البقرة:١٦٤] ، وتفكروا في مجيء الشتاء والصيف ، فوالله ما زال المؤمنين يتفكرون فيما خلق لهم ربهم حتى أيقنت قلوبهم ، وحتى كأنما عبدوا الله

عن رؤيته ما رأى العارفون شيئاً من الدنيا إلا تذكروا به ما وعد الله به من جنسه في الآخرة من كل خير وعافية .

قلـــوب العارفـين لها عيـــون
تـرى مـالا يـــراه الناظـــرون

رابعاً : دنو الشمس من العباد يوم القيامة:

قال الدكتور عمر سليمان الأشقر في « القيامة الكبرى » :

وتدنو الشمس من رؤوس العباد في ذلك اليوم حتى لا يكون بينها وبينهم إلا مقدار ميل واحد ، ولولا أنهم مخلوقون خلقاً غير قابل للفناء لانصهروا وذابوا وتبخروا ، ولكنهم بعد الموت لا يموتون .

ويذهب عرقهم في الأرض حتى يرويها ، ثم يرتفع فوق الأرض ، ويأخذهم على قدر أعمالهم ، ففي صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« تدني الشمس يوم القيامة من الخلق ، حتى تكون منهم كمقدار ميل »** .

قال سليم بن عامر : فوالله ما أدري ما يعني بالميل ؟ أمسافة الأرض ، أم الميل الذي تكتحل به العين .

قال : « **فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلي كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً** » .

قال : وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه [(١)] .

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:٦] ، قال : « **يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه** » [(٢)] .

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم** » [(٣)] .

---

(١) صحيح مسلم .
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه البخاري .

خامساً : تذكر جهنم وشدة حرها :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزءٌ من سبعين جزءاً من حر جهنم** . قالوا : والله إن كانت لكافية يارسول الله ، قال : **فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها** »(١) .

قال الغزالي ـ رحمه الله ـ :

يا أيها الغافل عن نفسه ، المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الإنقضاء والزوال ، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه ، واصرف الفكر إلى موردك، فإنك أُخبرت بأن النار مورد للجميع ، إذ قيل: ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)** ﴾ [مريم:٧١ ـ ٧١] ، فأنت من الورود على يقين ، ومن النجاة في شك ، فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد ، فعساك تستعد للنجاة منه ، وتأمل

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي ومالك في « الموطأ » .

في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا ، فبينما هم في كربها وأهوالها ، وقوفاً ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأطلت عليهم نار ذات لهم ، وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب ، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب ، وجثت الأمم على الركب ، حتى أشفق البراء من سوء المنقلب، وخرج المنادي من الزبانية قائلاً: أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل، المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ، ويستقبلونه بعظائم التهديد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، وينكسونه في قعر الجحيم ، ويقولون له: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) ﴾ [الدخان:٤٩] ، فاسكنوا دار ضيقة الأرجاء ، مظلمة المسالك ، مبهمة المهالك ، يخلد فيها الأسير ، ويوقد فيها السعير ، شرابهم فيها الحميم ، ومستقرهم الجحيم ، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم ، أمانيهم فيها الهلاك ، وما لهم منها فكاك ، قد شدت أقدامهم إلى النواصي

واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها ، ويصيحون في نواحيها وأطرافها : يا مالك قد حق علينا الوعيد ، يا مالك قد نضجت منا الجلود ، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود ، فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان ، ولا خروج لكم من دار الهوان، فاخسأوا فيها ولا تكلمون ، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون ، فعند ذلك يقنطون ، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ، ولا ينجيهم الندم ، ولا يغنيهم الأسف ، بل يكبون على وجوههم مغلولين ، النار من فوقهم ، والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم ، والنار عن شمائلهم ، فهم غرقى في النار، طعامهم نار، وشرابهم نار، ولباسهم نار، ومهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران ، وسرابيل القطران ، وضرب المقامع ،وثقل السلاسل ، فهم يتجلجلون في مضايقها ، ويتحطمون في دركاتها ، ويضربون بين غواشيها ، تغلي بهم النار كغلي القدور ، ويهتفون بالويل والعويل ، ومهما دعوا بالثبور ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩)

يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحج:١٩-٢١] ، تهشم بها جباههم ، فينفجر الصديد من أفواهم ، وتنقطع من العطش أكبادهم ، وتسيل على الخدود أحداقهم ، ويسقط من الوجنات لحومها ، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون [١] .

سادساً : حر الصيف لم يمنع الأفاضل من غزوة تبوك ولا غيرها :

في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة أمر النبي ﷺ أصحابه للتهيء لغزو الروم ، وكان ذلك بالصيف في وقت شديد الحر ، وحين طاب للنفس الظل والثمر ، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كنّى عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يقصده إلا ما كان من أمر هذه الغزوة، فإنه بينها للناس لبعد المشقة وشدة الظروف وكثرة العدو حتى يأهبوا لذلك أهبته ، وقد سارع الصحابة ﷺ بالتهيؤ والإستجابة لهذا الأمر الكريم ، واشتدت درجة الحرص إلى

---

(١) إحياء علوم الدين .

أن سبعة من الأنصار وهم من أهل بيت واحد ، وكانوا أهل حاجة وفقر ، ذهبوا إلى النبي ﷺ يسألونه الدواب ليرتحلوا عليها ، فلما لم يجد رجعوا وهم يبكون على الرغم من عذرهم وحرصهم على الأخذ بالأسباب ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ (٩٢) ﴾ [التوبة:٩١-٩٢] .

ولما تثاقل البعض في بداية الأمر ، نزلت الآيات تلهب النفوس العامرة بالإيمان وتقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)

إلاَّ تنصرُوهُ فقدْ نصرَهُ اللَّهُ إذْ أخْرجَهُ الَّذين كفرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا فِي الْغَارِ إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾

[التوبة: ٣٨-٤٠] . فأذهبت الآيات ماكان قد ألمَّ بالنفوس من الحرص على الدنيا والتثاقل عن القتال .

ويُحكى أن أبا خيثمة رجع إلى داره بعد ما انطلق النبي ﷺ هو وأصحابه لقتال الروم ، فوجد زوجتيه ، كلاً منهما قد أعدت له ظلاً ظليلاً وماءاً بارداً ، فقال لنفسه : ظل ظليل وماء بارد وزوجة حسناء ورسول الله ﷺ في الحر والقر، فأمر نساءه بإعداد الزاد والرواحل وانطلق يعدو ، فرأى النبي ﷺ غباراً من بُعد ، فقال : كن أبا خيثمة فكان هو أبو خيثمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وكان طبيعياً أن ينكشف أمر المنافقين في وسط هذا التنافس الشديد ، فما لهم ولهذا الحر القاتل ، وقلوبهم خاوية من الإيمان بالله ورسوله ، ولذلك لم يكن لديهم بد أن يتخلفوا وصاروا يتصيدون الأعذار السخيفة والعلل الواهية ثم عملوا على تثبيط همم المؤمنين، وفي ذلك يقول تعالى:

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢) ﴾ [التوبة: ٤٢] ، وقال : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) ﴾ [التوبة: ٨١- ٨٢] .

ومن تلك الأعذار السخيفة أن الجد بن قيس لما رآه النبي ﷺ قال له : « يا جد هل لك العام في جلاد « قتال » بني الأصفر « الروم » فقال : يارسول الله أو تأذن لي ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر ، ولكن أعينك بمالي ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : قد أذنت لك ، ولما علم ابنه قوله ذلك لام أباه ، وقال له : والله ما يمنعك إلا النفاق وسينزل الله فيك قرآناً ،

فأخذ نعله وضرب به وجهه ، فأنزل الله في شأنه ذلك : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩) ﴾ [التوبة: ٤٩] ، ولما نزلت الآية قال له ابنه : « ألم أقل لك » فقال له أبوه : « اسكت يالكع لأنت أشد عليَّ من محمد » .

وقد نزلت سور براءة بشأن المنافقين ، وهي التوبة ، والفاضحة ، والمدمدمة والمبعثرة ، والمقشقشة ، وهي أيضاً سورة العذاب ، وقد فضحت أحوال المنافقين، ونزل : منهم ومنهم ومنهم ، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : حتى خشينا ألا تدع أحداً ، ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ [التوبة: ٦١] ، ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي ﴾ ، ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) ﴾ [التوبة : ٧٥] .

والمتتبع لأحوال الصحابة الكرام ومن تابعهم بإحسان سيجد أن حر الصيف لم يمنعهم من الجهاد في سبيل الله ولا من القيام لله بحقه في كل آن وحين .

سابعاً : مما يؤمر بالصبر فيه على حر الشمس:

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ :

ومما يؤمر بالصبر فيه على حر الشمس ، النفر للجهاد في الصيف كما قال تعالى عن المنافقين : ﴿ **وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ** (٨١) ﴾ [التوبة : ٨١] ، وكذلك في المشي إلى المساجد للجمع والجماعات وشهود الجنائز ونحوها من الطاعات والجلوس في الشمس لانتظار ذلك حيث لا يوجد ظل .

خرج رجل من السلف إلى الجمعة فوجد الناس قد سبقوه إلى الظل فقعد في الشمس فناداه رجل من الظل أن يدخل إليه فأبى أن يتخطى الناس لذلك ثم تلا : ﴿ **وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [لقمان : ١٧] ،وكان بعضهم إذا رجع من الجمعة في حر الظهيرة ، يذكر انصراف الناس من موقف الحساب إلى الجنة أو النار، فإن الساعة تقوم في يوم الجمعة. ولا ينتصف ذلك النهار حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار .

قاله ابن مسعود رضي الله عنه وتلا قوله : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفرقان:٢٤] ، وينبغي لمن كان في حر الشمس أن يتذكر حرها فى الموقف ، فإن الشمس تدنو من رؤوس العباد يوم القيامة ، ويزاد في حرها ، وينبغي لمن لا يصبر على حر الشمس في الدنيا أن يجتنب من الأعمال ما يستوجب صاحبه به دخول النار فإنه لا قوة لأحد عليها ولا صبر ، قال قتادة وقد ذكر شراب أهل جهنم ، وهو ماء يسيل من صديدهم من الجلد واللحم ، فقال : هل لكم بهذا يدان أم لكم عليه صبر ؟ طاعة الله أهون عليكم ، ياقوم فأطيعوا الله ورسوله :

نسيت لظى عند ارتكانك للهوى
وأنت توقى حر شمس الهواجر
كأنك لم تدفن حميماً ولم تكن
له فى سياق الموت يوماً بحاضر

رأى عمر بن عبد العزيز قوماً في جنازة قد هربوا من

سابعاً : مما يؤمر بالصبر فيه على حر الشمس:

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ :

ومما يؤمر بالصبر فيه على حر الشمس ، النفر للجهاد في الصيف كما قال تعالى عن المنافقين : ﴿ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) ﴾ [التوبة : ٨١] ، وكذلك في المشي إلى المساجد للجمع والجماعات وشهود الجنائز ونحوها من الطاعات والجلوس في الشمس لانتظار ذلك حيث لا يوجد ظل .

خرج رجل من السلف إلى الجمعة فوجد الناس قد سبقوه إلى الظل فقعد في الشمس فناداه رجل من الظل أن يدخل إليه فأبى أن يتخطى الناس لذلك ثم تلا : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧] ،وكان بعضهم إذا رجع من الجمعة في حر الظهيرة ، يذكر انصراف الناس من موقف الحساب إلى الجنة أو النار ، فإن الساعة تقوم في يوم الجمعة ، ولا ينتصف ذلك النهار حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار .

قاله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتلا قوله : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفرقان:٢٤] ، وينبغي لمن كان في حر الشمس أن يتذكر حرها فى الموقف ، فإن الشمس تدنو من رؤوس العباد يوم القيامة ، ويزاد في حرها ، وينبغي لمن لا يصبر على حر الشمس في الدنيا أن يجتنب من الأعمال ما يستوجب صاحبه به دخول النار فإنه لا قوة لأحد عليها ولا صبر ، قال قتادة وقد ذكر شراب أهل جهنم ، وهو ماء يسيل من صديدهم من الجلد واللحم ، فقال : هل لكم بهذا يدان أم لكم عليه صبر ؟ طاعة الله أهون عليكم ، ياقوم فأطيعوا الله ورسوله :

نسيت لظى عند ارتكانك للهوى
وأنت توقى حر شمس الهواجر
كأنك لم تدفن حميماً ولم تكن
له فى سياق الموت يوماً بحاضر

رأى عمر بن عبد العزيز قوماً في جنازة قد هربوا من

الشمس إلى الظل وتوقوا الغبار فبكى ثم أنشد :

من كان حين تصيب الشمس جبهته
أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي يبق بشاشته
فسوف يسكن يوماً راغماً جدثاً
في ظل مقفرة غبراء مظلمة
يطيل تحت الثرى في غمها اللبثا
تجهزي بجهاز تبلغين به
يانفس قبل الردى لم تخلقي عبثاً

ومما يضاعف ثوابه في شدة الحر من الطاعات الصيام ، لما فيه من ظمأ الهواجر ، ولهذا كان معاذ بن جبل يتأسف عند موته على ما يفوته من ظمأ الهواجر ، وكذلك غيره من السلف .

وروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يصوم في الصيف ويفطر في الشتاء ، ووصى عمر رضي الله عنه عند موته

ابنه عبد الله فقال له : عليك بخصال الإيمان وسمى أولها الصوم في شدة الحر في الصيف، قال القاسم بن محمد : كانت عائشة رضي الله عنها تصوم في الحر الشديد .قيل له : ما حملها على ذلك ؟ قال : كانت تبادر الموت ، وكان مجمع التيمى يصوم في الصيف حتى يسقط ،كانت بعض الصالحات تتوخى أشد الأيام حراً فتصومه فيقال لها في ذلك ، فتقول : إن السعر إذا رخص اشتراه كل أحد ، تشير إلى أنها لا تؤثر إلا العمل الذي لا يقدر عليه إلا قليل من الناس لشدته عليهم ، وهذا من علو الهمة ، كان أبو موسى الأشعري في سفينة فسمع هاتفاً يهتف: يا أهل المركب قفوا يقولها ثلاثاً ، فقال أبو موسى : يا هذا كيف نقف ألا ترى ما نحن فيه كيف نستطيع وقوفاً ؟!! فقال الهاتف : ألا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه ؟ قال : بلى ، أخبرنا قال : فإن الله قضى على نفسه أنه من عطش نفسه لله في يوم حار كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة ، فكان أبو موسى يتوخى ذلك اليوم الحار الشديد الحر الذي

يكاد الإنسان ينسلخ منه فيصومه .

قال كعب أن الله تعالى قال لموسى : أني آليت على نفسي أنه من عطش نفسه لي أن أرويه يوم القيامة ، وقال غيره مكتوب في التوارة طوبى لمن جوع نفسه ليوم الشبع الأكبر طوبى لمن عطش نفسه ليوم الرى الاكبر ، قال الحسن: تقول الحوراء لولي الله وهو متكئ معها على نهر الخمر في الجنة تعاطيه الكأس في أنعم عيشة ؟ أتدري أي يوم زوجنيك الله إنه نظر إليك في يوم صائف بعيد ما بين الطرفين وأنت في ظمأ هاجرة من جهد العطش ، فباهى بك الملائكة وقال : انظروا إلى عبدي ترك زوجته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي ، رغبة فيما عندي اشهدوا أني قد غفرت له ، فغفر لك يومئذ وزوجنيك .

لما سار عامر بن عبد قيس من البصرة إلى الشام ،كان معاوية يسأله أن يرفع إليه حوائجه ، فيأبى ، فلما أكثر عليه قال : حاجتي أن ترد عليّ من حر البصرة لعل الصوم أن يشتد عليَّ شيئاً فإنه يخف عليّ في بلادكم .

نزل الحجاج في بعض أسفاره بماء بين مكة والمدينة ، فدعا بغذاءه ورأى أعرابياً فدعاه إلى الغذاء معه فقال : دعاني من هو خير منك فأجبته ، قال : ومن هو قال : الله تعالى دعاني إلى الصيام فصمت ، قال في هذا الحر الشديد؟! ، قال : نعم ، صمت ليوم أشد منه حراً ، قال : فأفطر ، وصم غداً ، قال : إن ضمنت لي البقاء إلى الغد ، قال : ليس ذلك لىّ ، قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجل لا تقدر عليه ؟!! .

خرج ابن عمر في سفر معه أصحابه ، فوضعوا سفرة لهم ، فمر بهم راع فدعوه إلى أن يأكل معهم ، قال : إني صائم ، فقال ابن عمر : في مثل هذا اليوم الشديد حره وأنت بين هذه الشعاب في آثار هذه الغنم ، وأنت صائم ، فقال : أبادر أيامي هذه الخالية فعجب منه ابن عمر ، فقال له ابن عمر : هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها ؟ ، قال : إنها ليست لي ، إنها لمولاي قال : فما عسيت أن يقول لك

مولاك إن قلت أكلها الذئب ، فمضى الرّاعي وهو رافع أصبعه إلى السماء ، وهو يقول : فأين الله ؟ ، فلم يزل ابن عمر يردد كلمته هذه ، فلما قدم المدينة بعث إلى سيد الراعي فاشترى منه الراعي والغنم فأعتق الراعي ووهب له الغنم .

نزل روح بن زنباع منزلاً بين مكة والمدينة في حر شديد، فانقض عليه راع من جبل فقال له: ياراع هلم إلى الغذاء ، قال : إني صائم ، قال : أفتصوم في هذا الحر ؟! ، قال : أفأدع أيامي تذهب باطلاً ، فقال روح : لقد ضننت بأيامك ياراعي إذ جاد بها روح بن زنباع .

وكان ابن عمر يصوم تطوعاً فيغشى عليه فلا يفطر ، وكان الإمام أحمد يقوم حتى يكاد يغمى عليه ، فيمسح على وجهه الماء ، وسئل عمن يصوم فيشتد عليه الحر قال : لا بأس أن يبل ثوباً يتبرد به ، ويصب عليه الماء ، كان النبي ﷺ بالعرج يصب على رأسه الماء وهو صائم ، وكان أبو الدرداء يقول : صوموا يوماً شديد حره لحر يوم النشور ،

وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور ، وفي الصحيحين عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد الحر، وإن الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر ، وما في القوم أحد صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة ، وفي رواية : إن ذلك كان في شهر رمضان .

لما صبر الصائمون لله في الحر على شدة العطش والظمأ، أفرد لهم باباً من أبواب الجنة ، وهو باب الريان ، من دخل شرب ، ومن شرب لم يظمأ بعدها أبداً ، فإذا دخلوا أغلق على من بعدهم فلا يدخل منه غيرهم .

ثامناً : الصواعق والرياح الحارة تذكر بالنار :

قال ابن رجب رحمه الله :

وقد تحدث أحياناً حوادث غير معتادة تذكر بالنار ، كالصواعق والريح الحارة المحرقة للزرع ، قال الله تعالى : ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ﴾ [الرعد:١٣] .

وقد روي أن الصواعق قطعة من نار تطير من في الملك

الذي يزجر السحاب عند اشتداد غضبه ، وقال الله تعالى: ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ [البقرة: ٢٦٦] والإعصار الريح الشديدة العاصف التي فيها نار ، والصر الريح الشديدة البرد، وقد عذب الله تعالى قوم شعيب بالظلة، وروى أنه أصابهم حر أخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت إلى الصحراء فأظلتهم سحابة فوجدوا لها برداً ، فاجتمعوا تحتها كلهم ، فأمطرت عليهم ناراً فأحرقوا كلهم ، فكل هذه العقوبات بسبب المعاصي ، وهي من مقدمات عقوبات جهنم وأنموذجها .

ومما يدل على الجنة والنار أيضاً ما يعجله الله في الدنيا لأهل طاعته وأهل معصيته ، فإن الله تعالى يعجل لأوليائه وأهل طاعته من نفحات نعيم الجنة وروحها ما يجدونه ويشهدونه بقلوبهم مما لا يحيط به عبارة ولا تحصره إشارة ، حتى قال بعضهم : إنه لتمر بي أوقات أقول : إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه فإنهم في عيش طيب .

قال أبو سليمان : أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل

اللهو في لهوهم ، وقال بعضهم : الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين،قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧] ، قال الحسن : نرزقه طاعة يجد لذتها في قلبه ، أهل التقوى في نعيم حيث كانوا في الدنيا ، وفي البرزخ وفي الآخرة :

العيش عيشهم والملك ملكهم
ما الناس إلاهمو بانوا أو اقتربوا

وأما أهل المعاصي والإعراض عن الله فإن الله يجعل لهم في الدنيا من انموذج عقوبات جهنم ما يعرف أيضاً بالتجربة والذوق ، فلا تسأل عما هم فيه من ضيق الصدر وحرجه ونكده ، وعما يعجل لهم من عقوبات المعاصي في الدنيا ولو بعد حين من زمن العصيان ، وهذا من نفحات الجحيم المعجلة لهم ثم ينتقلون بعد هذه الدار إلى أشد من ذلك وأضيق، ولذلك يضيق على أحدهم قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويفتح له باب إلى النار فيأتيه من سمومها قال

الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه : ١٣٤] ، وورد في الحديث المرفوع تفسيرها بعذاب القبر ثم بعد ذلك يصيرون إلى جهنم وضيقها ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤) ﴾ [الفرقان : ١٣-١٤] .

تاسعاً : الحمى في النار تدل على وجود النار :

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ :

ومما يدل أيضاً في الدنيا على وجود النار الحمى التي تصيب بني آدم، وهي نار باطنة فمنها نفحة من نفحات سموم جهنم ، ومنها نفحة من زمهريرها ، وقد روى في حديث أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه « **أنها حظ المؤمن من النار**» والمدار أن الحمى تكفر ذنوب المؤمن ، وتنقيه منها كما ينقي الكير خبث الحديد ، وإذا طهر المؤمن من ذنوبه في الدنيا لم يجد حر النار إذا مر عليها يوم القيامة ، لأن وجدان الناس لحرها عند المرور عليها بحسب ذنوبهم ،

فمن طهر من الذنوب ونقى منها في الدنيا جاز على الصراط كالبرق الخاطف والريح ، ولم يجد شيئاً من حر النار ، ولم يحس بها فتقول النار للمؤمن: جز يا مؤمن ، فقد أطفأ نورك لهبي .

وفي حديث جابر المرفوع في مسند الإمام أحمد« أنهم يدخلونها فتكون عليهم برداً وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم » .

ومن أعظم ما يذكر بنار جهنم النار التي في الدنيا ، قال الله تعالى : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤) ﴾ [الواقعة:٧٣-٧٤] .

عاشراً : نار الدنيا من أعظم ما يذكر بنار جهنم :

قال ابن رجب رحمه الله :

مر ابن مسعود بالحدادين، وقد أخرجوا حديداً من النار ، فوقف ينظر إليها ويبكي ، وروى عنه أنه مر على الذين ينفخون الكير فسقط .

وكان أويس يقف على الحدادين فينظر إليهم كيف

ينفخون الكير ، ويسمع صوت النار ، فيصرخ ثم يسقط وكذلك الربيع بن خيثم .

وكان كثير من السلف يخرجون إلى الحدادين ينظرون إلى ما يصنعون بالحديد ، فيبكون ويتعوذون بالله من النار ، ورأى عطاء السليمي امرأة قد سجرت تنورها فغشى عليه ، قال الحسن : كان عمر ربما توقد له النار ثم يدني يده منها ثم يقول : يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر ؟! ، كان الأحنف بن قيس يجيء إلى المصباح فيضع أصبعيه فيه ويقول حسن ثم يعاتب نفسه على ذنوبه .

أجج بعض العباد ناراً بين يديه وعاتب نفسه فلم يزل يعاتبها حتى مات .

نار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وغسلت بالبحر مرتين حتى أشرقت وخف حرها ، ولولا ذلك ما انتفع بها أهل الدنيا وهي تدعو إلى الله أن لا يعيدها إليها .

قال بعض السلف : لو أخرج أهل النار منها إلى نار الدنيا لقالوا : فيها ألفي عام يعني أنهم كانوا ينامون فيها

ويرونها برداً ،كان عمر يقول : أكثروا ذكر النار ، فإن حرها شديد ، وإن قعرها بعيد ، وإن مقامها حديد .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما وغيره من السلف إذا شربوا ماءاً بارداً بكوا وذكروا أمنية أهل النار ، وأنهم يشتهون الماء البارد، وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون ويقولون لأهل الجنة : ﴿ **أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ** ۝٥٠ ﴾ [الأعراف:٥٠] ،والمصيبة العظمى حين تطبق النار على أهلها ، وييأسون من الفرج ، وهو الفزع الأكبر الذي يأمنه أهل الجنة ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ** ﴾ [الأنبياء : ١٠١] .

لو أبصرت عيناك أهل الشقا
سيقوا إلى النار وقد أحرقوا
شرابهم المهل فى قعرها
إذا خالفوا الرسل وما صدقوا

تقـــول أخـــراهم لأولاهم

فى لجج المهل وقـد أغـرقـوا

قـد كنتمـو خـوفتمـو حـرها

لكن من النيـران لم تفـرقـوا

وجىء بالنيـران مـذمـومـة

شـرارها من حـولهـا مـحـدق

وقـيل للنيـران أن أحـرقى

وقـيل للخـزان أن أطبـقـوا

الحادي عشر: ما نزل من القرآن صيفاً وما نزل شتاءً:

لم يحظ كتاب بما حظى به القرآن الكريم ، فقد عنى العلماء بآيات الله عناية فائقة فتتبعوها آية آية ، كما تتبعوا القرآن سورة سورة لترتيبها وفق نزولها مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب ، لا يكتفون بزمن النزول ، بل يجمعون بين الزمان والمكان والخطاب .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : « والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت؟ ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت؟ ، ولو أعلم أن أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه »(١) .

وقال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب« التنبيه على فضل علوم القرآن » : « من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته ، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة ، وما نزل بمكة وحكمه مدني ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي ، وما نزل بمكة في أهل المدينة ، وما نزل بالمدينة في أهل مكة ، وما يشبه نزول المكي في المدني وما يشبه نزول المدني في المكي ، وما نزل بالجحفة ، وما نزل ببيت المقدس ، وما نزل بالطائف ، وما نزل بالحديبية ، وما نزل ليلاً وما نزل نهاراً ، وما نزل مشيّعاً « كسورة الأنعام » وما نزل مفرداً ، والآيات المدنيات من السور المكية ، والآيات المكيات في السور المدنية ، وما حمل من مكة إلى

(١) أخرجه البخاري .

المدينة ، وما حُمل من المدينة إلى مكة ، وما حُمل من المدينة إلى أرض الحبشة، وما نزل مجملاً، وما نزل مفسراً ، وما اختلفوا فيه ، فقال بعضهم: مدني وبعضهم : مكي ، فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ، ويميز بينها ، لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى» . أ . هـ .

وقد كان من جملة ما تتبعه العلماء ما نزل صيفاً وشتاءً، ويمثلون لما نزل صيفاً بآية الكلالة التي في آخر سورة النساء، فعن عمر رضي الله عنه : « ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة ، وما أغلظ في شيء ما أغلظ لي فيه ، حتى طعن بإصبعه في صدري ، وقال يا عمر : « **ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء** » . أ هـ . [(١)] .

ومن أمثلة الآيات التي نزلت في غزوة تبوك ، فإنها كانت في الصيف في شدة الحر كما في القرآن نفسه ، ويمثلون للشتائي بآيات حديث الإفك في سورة النور ،

(١) رواه مسلم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦) ﴾ [النور :١١-٢٦].

ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها « أنها نزلت في يوم شاتٍ » ، ومن أمثلته الآيات التي في غزوة الخندق من سورة الأحزاب حيث كانت في شدة البرد ، وبهذا الإعتناء

وغيره تحقق قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر : ٩] .

الثانى عشر : من نصيحة ابن الجوزى لولده ، وهى نصيحة لك :

وانظر يابني إلى نفسك عند الحدود ، فتلمح كيف حفظك لها ، فإنه من راعى روعي ، ومن أهمل ترك .

إني لأذكر بعض أحوالي لعلك تنظر إلى اجتهادي وتسأل الموفق لي ، فإن أكثر الإنعام عليَّ لم يكن بكسبي ، وإنما هو من تدبير اللطيف بي .

فإني أذكر نفسي ولي همة عالية ، وأنا في المكتب ابن ست سنين ، وأنا قرين الصبيان الكبار، قد رزقت عقلاً وافراً في الصغر يزيد على عقل الشيوخ ، فما أذكر أني لعبت في طريق مع الصبيان قط، ولاضحكت ضحكاً خارجاً حتى أني كنت ولي سبع سنين أو نحوها أحضر رحبة الجامع ، فلا أتخير حلقة مشعبذ ، بل أطلب المحدث ، فيتحدث بالسير فأحفظ جميع ما أسمعه وأذهب إلى البيت فأكتبه .

ولقد وفق لي شيخنا أبو الفضل ابن ناصر رحمه الله ، وكان يحملني إلى الشيوخ فأسمعني المسند وغيره من الكتب الكبار ، وأنا لا أعلم ما يراد مني ، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت ، فناولني ثبتها ، ولازمته إلى أن توفى رحمه الله ، فنلت به معرفة الحديث والنقل .

ولقد كان الصبيان ينزلون إلى دجلة ويتفرجون على الجسر ، وأنا في زمن الصغر آخذ جزءاً أقعد حجزة من الناس إلى جانب الرقة فأتشاغل بالعلم ثم ألهمت الزهد فسردت الصوم ، وتشاغلت بالتقلل من الطعام ، وألزمت نفسي الصبر فاستمرت شمرت ولازمت وعالجت السهر ، ولم أقنع بفن من العلوم ، بل كنت أسمع الفقه والوعظ والحديث وأتبع الزهاد ، ثم قرأت اللغة ولم أترك أحداً ممن يروى ويعظ ، ولا غريباً يقدم إلا وأحضره ، أتخير الفضائل ، وكنت إذا عرض لي أمران أقدم في أغلب الأحوال حق الحق فأحسن تدبيري وتربيتي ، وأجراني على ما هو الأصلح لي ، ودفع عني الأعداء والحساد ومن يكيدني ، وهيأ لي

أسباب العلم : بعث إليّ الكتب من حيث لا أحتسب ، ورزقني الفهم وسرعة الحفظ والخط وجودة التصنيف ولم يعوزني شيئاً من الدنيا ، بل ساق إليّ من الرزق مقدار الكفاية وأزيد ، ووضع لي من القبول في قلوب الخلق فوق الحد ، وأوقع كلامي في نفوسهم فلا يرتابون بصحته ، وقد أسلم على يدي نحو من مائتين من أهل الذمة ، ولقد تاب في مجالسي أكثر من مائة ألف ، وقد قطعت أكثر من عشرين ألف سالف مما يتعاناه الجهال .

ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نفسي من العدْو لئلا أسبق ،وكنت أصبح وليس لي مأكل، وأمسي وليس لي مأكل ، ما أذلني الله لمخلوق قط ولكنه ساق رزقي لصيانة عرضي .

ولو شرحت أحوالي لطال الشرح ، وها أنا قد ترى ما آلت حالي إليه ، وأنا أجمعه لك في كلمة واحدة ، وهى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

فانتبه يابني لنفسك، واندم على ما مضى من تفريطك ،

واجتهد في لحاق الكاملين ما دام في الوقت سعة ، واسق غصنك ، ما دامت فيه رطوبة ، واذكر ساعتك التي ضاعت فكفي بها عظة ، ذهبت لذة الكسل فيها وفاتت مراتب الفضائل .

وقد كان السلف الصالح رحمهم الله يحبون كل فضيلة ويبكون على فوات واحدة منها .

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : دخلنا على عابد مريض ، وهو ينظر إلى رجليه ويبكى، فقلنا :مالك تبكى؟ ، فقال : ما اغبرتا في سبيل الله ، وبكى آخر فقالوا : ما يبكيك ؟ فقال : عليَّ يوم مضى ما صمته ، عليَّ ليلة ذهبت ما قمتها .

اعلم يابني أن الأيام تبسط ساعات ، والساعات تبسط أنفاساً ، وكل نفس خزانة ، فاحذر أن يذهب نفس بغير شيء ، فترى في القيامة خزانة فارغة فتندم وقد قال رجل لعامر بن عبد قيس: قف أكلمك ، فقال : أمسك الشمس، وقعد قوم عند معروف رحمه الله فقال : أما تريدون أن

تقوموا ؟ فإن ملك الشمس يجرها لا يفتر .

وفي الحديث: « **من قال سبحان الله العظيم وبحمده ، غرست له بها نخلة في الجنة** » فانظر إلى مضيع الساعات كم يفوته من النخيل .

وقد كان السلف يغتنمون اللحظات ، فكان كهمس رحمه الله يختم القرآن كل يوم وليلة ثلاث مرات ، وكان أربعون رجلاً من السلف يصلون الصبح بوضوء العشاء ، وكانت رابعة العدوية تحيي الليل كله ، فإذا طلع الفجر هجعت هجعة خفيفة ثم قامت فزعة وقالت لنفسها : النوم في القبر طويل .

ومن تفكر في الدنيا قبل أن يوجد رأى مدة طويلة ، فإذا تفكر فيها بعد أن يخرج منها رأى مدة طويلة ، وعلم أن اللبث في القبور طويل ، فإذا تفكر في يوم القيامة علم أنه خمسون ألف سنة ، فإذا تفكر في اللبث في الجنة أو النار علم أنه لا نهاية له ، فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا فرضنا ستين سنة مثلاً ، فإنه يمضي منها ثلاثون سنة

في النوم ، ونحو من خمس عشرة في الصبي ، فإذا حسب الباقي كان أكثره في الشهوات والمطاعم والمكاسب ، فإذا خلص ما للآخرة وجد فيه من الرياء والغفلة كثيراً ، فبماذا تشتري الحياة الأبدية وإنما الثمن هذه الساعات ؟ .

ولا يؤيسك يا بني من الخير ما مضى من التفريط ، فإنه قد انتبه خلق كثير بعد الرقاد الطويل ، فقد حدثني الشيخ أبو حكيم عن قاضي القضاة الشيخ أبي الحسن الدامغاني رحمه الله ، قال : كنت في صبوتي متشاغلاً بالبطالة غير ملتفت إلى العلم ، فأحضرني أبي أبو عبد الله رحمه الله تعالى ، وقال لي : لست أبقي لك أبداً ، فخذ عشرين ديناراً افتح لك دكان خباز وتكسب، فقلت له: ما هذا الكلام؟ ، قال : فافتح دكان بزاز ، فقلت : كيف تقول لي هذا وأنا ابن قاضي القضاة عبد الله الدامغاني ؟ قال : فما أراك تطلب العلم؟ فقلت : اذكر لي الدرس الساعة، فذكر لي ، فأقبلت على التشاغل بالعلم ، فعند ذلك أقبلت على الإشتغال بالعلم واجتهدت ففتح الله تعالى .

وحكى لي بعض أصحاب أبي محمد الحلواني رحمه الله قال : مات أبي وأنا ابن إحدى وعشرين سنة ، وكنت موصوفاً بالبطالة، فأتيت أتقاضى بعض سكان دار قد ورثتها، فسمعتهم يقولون: جاء المدبر ، أي الربيط ، فقلت لنفسي : يقال عني هذا ؟ فجئت إلى والدتي فقلت : إذا أردت طلبي فاطلبيني من مسجد الشيخ أبي الخطاب ، ولازمته فما خرجت إلا للقضاء ، فصرت قاضياً مدة « قلت » : ورأيته أنا وهو يفتي ويناظر .

فالزم نفسك يابني الإنتباه عند طلوع الفجر ولا تتحدث حديث الدنيا ، فقد كان السلف الصالح رحمهم الله لا يتكلمون في ذلك الوقت من أمور الدنيا ، وقل عند انتباهك من النوم : « الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور ، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، إن الله بالناس لرؤوف رحيم » .

ثم قم إلى الطهارة واركع سُنّة الفجر ، واخرج إلى المسجد خاشعاً وقل في طريقك : « اللهم إني أسألك بحق

السائلين عليك وبحق ممشاي هذا ، أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تجيرني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

واقصد الصلاة إلى يمين الإمام ، فإذا فرغت من الصلاة فقل : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك له الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير » عشر مرات ، ثم سبح عشراً ، واحمد عشراً ، وكبِّر عشراً ، واقرأ آية الكرسي ، واسأل الله سبحانه قبول الصلاة ، فإن صح لك ، فاجلس ذاكراً الله تعالى إلى أن تطلع الشمس وترتفع ، ثم صل وتركع ما كتب لك ، وإن كان ثمان ركعات فهو حسن .

الثالث عشر : رحلة الشتاء والصيف :

ذكّر الله تعالى أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما فعل بجيش أبرهة من أهل الحبشة ، ثم ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ** ﴾[قريش : ١ – ٢] ، أي

فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش ، وذلك أن قريشاً كانت تخرج في تجارتها ، فلا يغار عليها ولا تُقْرَب في الجاهلية ، يقولون : هم أهل بيت الله عز وجل ، حتى جاء صاحبُ الفيل ليهدم الكعبة ، ويأخذ حجارتها فيبني بها بيتاً في اليمن يحج الناس إليه، فأهلكهم الله عز وجل، فذكرهم نعمته ، أي فجعل الله ذلك لإيلاف قريش ، أي ليألفوا الخروج ولا يُجترأ عليهم ، وهو معنى قول مجاهد وابن عباس ، وكانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف ، وفي معنى قوله تعالى : ﴿ **إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ** ﴾ ، قال مجاهد : لا يشق عليهم رحلة شتاء ، ولا صيف منّة منه على قريش .

وقال الأزهري : إن قريشاً كانوا سكان الحرم ، ولم يكن لهم زرع ولا ضرعٍ ، وكانوا يميرون في الشتاء والصيف آمنين ، والناس يتخطفون من حولهم فكانوا إذا عرض لهم عارض قالوا : « نحن أهل حرم الله ، فلا يتعرض الناس لهم » .

السائلين عليك وبحق ممشاي هذا ، أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تجيرني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

واقصد الصلاة إلى يمين الإمام ، فإذا فرغت من الصلاة فقل : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك له الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير » عشر مرات ، ثم سبح عشراً ، واحمد عشراً ، وكبِّر عشراً ، واقرأ آية الكرسي ، واسأل الله سبحانه قبول الصلاة ، فإن صح لك ، فاجلس ذاكراً الله تعالى إلى أن تطلع الشمس وترتفع ، ثم صل وتركع ما كتب لك ، وإن كان ثمان ركعات فهو حسن .

الثالث عشر : رحلة الشتاء والصيف :

ذكّر الله تعالى أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما فعل بجيش أبرهة من أهل الحبشة ، ثم ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ① إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ** ﴾[قريش : ١ – ٢] ، أي

فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش ، وذلك أن قريشاً كانت تخرج في تجارتها ، فلا يغار عليها ولا تُقْرَب في الجاهلية ، يقولون : هم أهل بيت الله عز وجل ، حتى جاء صاحبُ الفيل ليهدم الكعبة ، ويأخذ حجارتها فيبني بها بيتاً في اليمن يحج الناس إليه، فأهلكهم الله عز وجل، فذكرهم نعمته ، أي فجعل الله ذلك لإيلاف قريش ، أي ليألفوا الخروج ولا يُجترأ عليهم ، وهو معنى قول مجاهد وابن عباس ، وكانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف ، وفي معنى قوله تعالى : ﴿ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ ، قال مجاهد : لا يشق عليهم رحلة شتاء ، ولا صيف منّة منه على قريش .

وقال الأزهري : إن قريشاً كانوا سكان الحرم ، ولم يكن لهم زرع ولا ضرع ، وكانوا يميرون في الشتاء والصيف آمنين ، والناس يتخطفون من حولهم فكانوا إذا عرض لهم عارض قالوا : « نحن أهل حرم الله ، فلا يتعرض الناس لهم » .

وكانت رحلتهم في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشتاء للتجارات ، وذلك لأن بلاد اليمن حامية ، وبلاد الشام باردة ، وعن ابن عباس قال : كانوا يشتون بمكة لدفئها ، ويصيفون بالطائف لهوائها ، وهذه من أجل النعم أن يكون للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد الشتاء ، وناحية برد تدفع عنهم حر الصيف ، فذكرهم الله تعالى هذه النعمة،قال مالك : الشتاء نصف السنة ، والصيف نصفها ، وقال قوم : الزمان أربعة أقسام : شتاء ، وربيع ، وصيف ، وخريف ، أو هو شتاء وصيف ، وقيظ وخريف .

قال القرطبي : لما امتن الله تعالى على قريش برحلتين شتاءاً ، وصيفاً ، كان فيه دليل على جواز تصرف الرجل في الزمانين بين محلين ، يكون حالهما في كل زمان أنعم من الآخر ، كالجلوس في المجلس البحري في الصيف ، وفي القبلي في الشتاء ، وفي اتخاذ البادهنجات « منفذ يجيء منه الريح» والخيْش للتبريد ، واللبّد واليانوسة للدفء.

ثم أمرهم الله تعالى بعبادته وتوحيده لأجل إيلافهم

رحلتين فقال: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾[قريش:٣ـ٤] .

والمعنى أن نِعَم الله تعالى عليهم لا تحصي ، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لشأن هذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة .

الرابع عشر : السلف وحفظ الوقت في الصيف والشتاء:

جاء في كتاب « أين نحن من أخلاق السلف » ما نصه:

● روى الأعمش عمن حدثه قال : قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « لو سخرت من كلب لخشيتُ أن أكون كلباً ، وإني لأكره أن أرى الرجل فارغاً ليس في عمل آخرة ولا دنيا » .

● وعن الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : « ابن آدم إنما أنت أيام ؛ كلما ذهب يوم ذهب بعضك » .

● ومن كلام الحسن أيضاً في موعظة أصحابه يزهدهم بها في الدنيا ويرغبهم في الآخرة قوله : « ولا يلهينك

المتاع القليل الفاني ، ولا تربص بنفسك فهي سريعة الإنتقاص من عمرك ، فبادر أجلك ، ولا تقل غداً غداً فإنك لا تدري متى إلى الله تصير » .

● ومن جميل كلام الحسن البصري رضي الله عنه ضمن كتاب طويل كتبه إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قوله : لأصفن لك الدنيا ، ساعة بين ساعتين، ساعة ماضية ، وساعة آتية ، وساعة أنت فيها ، فأما الماضية والباقية فليس تجد لراحتهما لذة ، ولا لبلائهما ألماً ، وإنما الدنيا ساعة أنت فيها فخدعتك تلك الساعة عن الجنة وصيرتك إلى النار ، وإنما اليوم إن عقلت ضيف نزل بك وهو مرتحل عنك ، فإن أحسنت نزله وقِراه شهد لك وأثنى عليك بذلك وصدق فيك ، وإن أسأت ضيافته ولم تحسن قِراه حال في عينيك ، وهما يومان بمنزلة الأخوين نزل بك أحدهما فأسأت إليه ولم تحسن قراه فيما بينك وبينه ، فجاءك الآخر بعده فقال : إني قد جئتك بعد أخي فإن إحسانك إليَّ يمحو إساءتك إليه، ويغفر لك ما صنعت فدونك إذا نزلت بك وجئتك

بعد أخي المرتحل عنك، فلقد ظفرت بخلف منه إن عقلت، فدارك ما قد أضعت، وإن ألحقت الآخر بالأول فما أخلقك أن تهلك بشهادتهما عليك ، إن الذي بقيَ من العمر لا ثمن له ولا عدل ، فلو جمعت الدنيا كلها ما عدلت يوماً بقيَ من عمر صاحبه، فلا تبع اليوم ولا تعدله من الدنيا بغير ثمنه ، ولا يكونن المقبور أعظم تعظيماً لما في يديك منه وهو لك، فلعمري لو أن مدفوناً في قبره قيل له : هذه الدنيا أولها إلى آخرها تجعلها لولدك من بعدك يتنعمون فيها من وراءك، فقد كنت وليس لك هم غيرهم، أحب إليك أم يوم تترك فيه تعمل لنفسك لاختار ذلك ، وما كان ليجمع مع اليوم شيئاً إلا اختار اليوم عليه رغبة فيه تعظيماً له ، بل لو اقتصر على ساعة خيرها [1] وما بين أضعاف ما وصفت لك وأضعافه يكون لسواه إلا اختار الساعة لنفسه على أضعاف ذلك يكون لغيره بل لو اقتصر على كلمة يقولها تكتب له وبين ما وصفت لك وأضعافه

(١) أي خيِّر بينها وبين أضعاف ما وصف يكون لغيره من أحبّابه .

لاختار الكلمة الواحدة عليه ، فانتقد اليوم لنفسك وأبصر الساعة وأعظم الكلمة واحذر الحسرة عند نزول السكرة ، ولا تأمن أن تكون لهذا الكلام حجة ، نفعنا الله وإياك بالموعظة ، ورزقنا وإياك خير العواقب ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

● وقال الرَّقام : سألت عبد الرحمن ـ يعني ابن أبي حاتم ـ عن اتفاق كثرة السماع له وسؤالاته لأبيه ، فقال : ربما كان يأكل وأقرأ عليه ، ويمشي وأقرأ عليه ، ويدخل الخلاء وأقرأ عليه ،ويدخل البيت في طلب شيء وأقرأ عليه .

●وقال الرَّازى :وسمعت على بن أحمد الخوارزمي يقول: سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم يقول : كنا بمصر سبعة أشهر ،لم نأكل فيها مرقة،كل نهارنا مقسم لمجالس الشيوخ، وبالليل : النسخ والمقابلة ، قال : فأتينا يوماً أنا ورفيق لي شيخاً ، فقالوا :هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتنا فاشتريناه ، فلما صِرنا إلى البيت حضر وقت مجلس ،فلم يمكنا إصلاحه ،ومضينا إلى المجلس فلم نزل حتى أتى عليه

ثلاثة أيام، وكاد أن يتغير فأكلناه نيئاً ، لم يكن لنا فراغ أن نُعطيه من يشويه، ثم قال : لا يُستطاع العلم براحة الجسد .

● وقال القاسم بن عساكر عن سُليم بن أيوب : حُدثت عنه أنه كان يحاسب نفسه في الأنفاس، لا يدع وقتاً يمضي بغير فائدة ، إما ينسخُ أو يدرس أو يقرأ ، وحُدثت عنه أنه كان لا يحرك شفتيه إلا أن يقط القلم .

● ويحكي أبو الوفاء على بن عقيل عن نفسه فيقول:«إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة ، وبصري عن مطالعة ، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح ، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره ، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين » .

● ويقول أيضاً: « وأنا أقصرُ بغاية جهدي أوقات أكلي ، حتى أختار سفَّ الكعك وتحسّيه بالماء على الخبز ، لأجّل ما بينهما من تفاوت المضغ ، توفراً على مطالعة أو تسطير فائدة لم أدركها » .

● ورحم الله الوزير الفقيه يحيى بن محمد بن هُبيرة ـ شيخ ابن الجوزي ـ إذ يقول :

والوقتُ أنفسُ ما عُنيتَ بحفظه

وأراه أسهل ما عليك يضيع

● ومما ذكر ابن النفيس ـ شيخ الطب في زمانه ـ أنه كان رحمه الله « إذا أراد التصنيف توضع له الأقلام مبريةً ، ويدير وجهه إلى الحائط ، ويأخذ في التصنيف إملاءً من خاطره ، ويكتب مثل السّيل إذا انحدر ، فإذا كل القلم وحفِي ، رمى به وتناول غيره ، لئلا يضيع عليه الزمان في بري القلم...ودخل الشيخ علاء الدين ـ يعني ابن النفيس ـ مرة إلى الحمام الذي في باب الزهومة ، فلما كان في بعض تغسيله خرج إلى مسلخ الحمام ، واستدعي بدواة وقلم وورق ، وأخذ في تصنيف مقالة في النبض إلى أن أنهاها ، ثم عاد ودخل الحمام وكمل تغسيله » .

● ويقول ابن الجوزي عن نفسه رحمه الله : « لقد رأيت خلقاً كثيراً يجرون معي فيما قد اعتاده الناس من

كثرة الزيارة ، ويسمون ذلك التردد خدمة ويطلبون الجلوس ويجرون فيه أحاديث الناس وما لا يعني ، ويتخلله غيبة .

وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس ، وربما طلبه المزور وتشوَّق إليه ، واستوحش من الوحدة ، وخصوصاً في أيام التهاني والأعياد ، فتراهم يمشي بعضهم إلى بعض ، ولا يقتصرون على الهناء والسلام ، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان .

فلما رأيت أن الزمان أشرف شيء، والواجب انتهازه بفعل الخير ، كرهت ذلك وبقيت معهم بين أمرين : إن أنكرت عليهم وقعت وحشة لموضع قطع المألوف ، وإن تقبلته منهم ضاع الزمان ، فصرت أدافع اللقاء جهدي ، فإذا غُلبت قصَّرت في الكلام لأتعجل الفراق .

ثم أعددت أعمالاً لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم لئلا يمضي الزمان فارغاً ، فجعلت من المستعد للقائهم قطع الكاغد [١] وبري الأقلام ، وحزم الدفاتر ، فإن هذه

---

(١) الكاغد : الورق المعد للكتابة .

الأشياء لابد منها ، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب ، فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي .

الخامس عشر: أحدهم يحاسب نفسه في قوله: [يوم حار ويوم بارد] .

محاسبة النفس لا تأتي إلا بخير ، وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن،وتهيئوا للعرض الأكبر ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴿١٨﴾ ﴾ [الحاقة:١٨] ، وقد بلغ الأمر ببعض السلف إنه كان يحاسب نفسه في قوله : يوم حار ويوم بارد ، فينبغي على العبد أن يحفظ لسانه وألفاظه إلا ما يباح له ، ولا ضرر عليه فيه .

فإذا تكلم العبد فيما لا حاجة به إليه ، فهو مضيع لزمانه ومحاسب على عمل لسانه ، لأنه سيسأل عن عمره فيما أفناه ، ثم إن رأس مال العبد هو وقته، فإذا صرفه إلى ما لا يعنيه ، ولم يدخر ثواباً في الآخرة فقد ضيع رأس ماله كما جاء في الحديث : « **من حسن إسلام المرء تركه ما لا**

يعنيه » [١] ، ولذلك انتبه السلف الصالح لذلك الأمر وجاهدوه أشد المجاهدة ، وأعطوه حقه .

قال مورق العجلي : أمر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ، ولست بتارك طلبه ، قالوا : وماهو ؟ ، قال: السكوت عما لا يعنيني .

وقيل للقمان الحكيم : ماحكمتك ؟ قال : لا أسأل عما كفيت ، ولا أتكلف ما لا يعنيني ، ومهما تأدى مقصود العبد بكلمة واحدة فذكر كلمتين ، فالكلمة الثانية فضول ، قال تعالى : ﴿ **لا خَيرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ .

[النساء :١١٤] .

قال عطاء بن أبي رباح : إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابد منها .

---

(١) حديث غريب .

أتنكرون أن ﴿ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [الإنفطار:١٠-١١] ، ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٧-١٨] أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي ملأها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ، قال الحسن: يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ، ووكل بها ملكان كريمان يكتبان أعمالك ، فاعمل ماشئت وأقلل أو أكثر .

وقال ﷺ : « **طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله** » [(١)] ، ومن الخوض في الباطل الذي نهي عنه سب الدهر وسب الريح وسب الأمراض كما جاء في الحديث: « **لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها ، وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به** » [(٢)] ، وفي الحديث : « **قال الله تعالى** : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا

(١) حديث حسن .
(٢) صححه الترمذي .

الدهر ، **أقلب الليل والنهار** » ، فما يحدث من خير وشر إنما يتم بإرادة الله وتدبيره ، وبعلم منه تعالى وحكمه لا يشاركه في ذلك غيره ، فالواجب عند ذلك حمده في الحالتين وحسن الظن به سبحانه وبحمده .

السادس عشر : لا يعرف قيمة الحر إلا من عانى البرد ، وكلاهما لمصلحة العبد:

بالضد تتبين الأشياء ، والصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يشعر بها إلا المرضى ، ولا يعرف الحر وقيمته إلا من عانى البرد ، وكلاهما لمصلحة العبد في الدنيا والآخرة ، فالعبد بطبيعته التي خلقه الله عليها يحتاج إلى الحر والبرد ، والصيف والشتاء ، فهما نعمة ودليل من دلائل قدرة الله تعالى ، فنبات الأرض واخضرارها في الربيع بعد محولها ويبسها في الشتاء وإيتاع الأشجار واخضرارها بعد كونها خشباً يابساً يدل على بعث الموتى من الأرض، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه في مواضع كثيرة، قال الله تعالى:
﴿ **وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**

وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ⑤ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⑥ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج:٥-٧] ، وفصول السنَة تذكر بالآخرة ، فشدة حر الصيف يذكر بحر جهنم وهو من سمومها ، وشدة برد الشتاء يذكر بزمهرير جهنم وهو من زمهريرها ، والخريف يكمل فيه اجتناء ثمرات الأعمال في الآخرة ، وأما الربيع فهو أطيب فصول السنَة، وهو يذكر بنعيم الجنة وطيب عيشها ، وينبغي أن يحث المؤمن على الإستعداد لطلب الجنة بالأعمال الصالحة،كان بعض السلف يخرج في أيام الرياحين والفواكه إلى السوق فيقف وينظر ويعتبر ويسأل الله الجنة .

وفي حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال: « **إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض**، قيل:ما بركات الأرض؟ **قال:زهرة الدنيا** ، فقال له رجل : هل يأتي الخير بالشر ، **فصمت رسول الله ﷺ حتى ظننت أنه سينزل عليه ثم جعل يمسح عن**

جبينه قال: أين السائل ؟ ، قال : أنا ، قال : لا يأتي الخير إلا بالخير ، إن هذا المال خضرة حلوة وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطاً أو يُلم إلا آكلة الخضر أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس فاجترت وثلطت وبالت ثم عادت فأكلت ، وإن هذا المال خضرة حلوة من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو ، وإن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع » [(١)] .

وهذا مثل ضربه النبي ﷺ لزهرة الدنيا ، وبهجة منظرها ، وطيب نعيمها وحلاوته في النفوس ، فمثله كمثل نبات الربيع وهو المرعى الخضر الذي ينبت في زمان الربيع فإنه يعجب الدواب التي ترعى فيه وتستطيبه وتكثر من الأكل منه أكثر من قدر حاجتها لاستحلائها له ، فإما أن يقتلها فتهلك وتموت حبطاً والحبط انتفاخ البطن من كثرة الأكل أو يقارب قتلها ، ويلم به فتمرض مرضاً مخوفاً مقارباً للموت ، فهذا مثل من يأخذ من الدنيا بشره وجوع

(١) رواه البخاري ومسلم .

نفس ،من حيث لاخْت له ، لا بقليل يقنع ولا بكثير يشبع، ولا يحلل ولا يحرم،بلِ الحلال عنده ما حل بيده وقدر عليه، والحرام عنده ما منِع منه وعجز عنه،فهذا هو المتخوض في مال الله ورسوله فيما شاءت نفسه ، وليس له إلا النار يوم القيامة ، وقد شبه النبي ﷺ من يأخذ الدنيا بغير حقها ويضعها في غير حقها بالبهائم الراعية من خضراء الربيع حتى تنتفخ بطونها من أكله ، فإما أن يقتلها وإما أن يقارب قتلها ، فكذلك من أخذ الدنيا من غير حقها ووضعها في غير وجهها ، إما أن يقتله ذلك فيموت به قلبه ودينه، وهو من مات على ذلك من غير توبه منه وإصلاح حال فيستحق النار بعمله ، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٢) ﴾ [محمد:١٢] ، وهذا هو الميت حقيقة ، فإن الميت من مات قلبه ، وإما أن يقارب موته ثم يعافى وهو من أفاق من هذه السكرة وتاب قبل موته ، وإذا كان هذا قد ورد بشأن الربيع ، فإن «الشتاء ربيع المؤمن» كما ورد

في حديث [(١)] ، أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ ، وخرجه البيهقي وغيره، وزاد فيه: « **طال ليله فقامه، وقصر نهاره فصامه** » ، وإنما كان الشتاء ربيع المؤمن لأنه يرتفع فيه في بساتين الطاعات ، ويسرح في ميادين العبادات ، وينزه قلبه في رياض الأعمال الميسرة فيه كما ترتفع البهائم في مرعى الربيع فتسمن وتصلح أجسادها ، فكذلك يصلح دين المؤمن في الشتاء بما يسر الله فيه من الطاعات حيث يسهل عليه الصيام والقيام من غير مشقة ولا كلفة .

فاحرص على طاعة الله دوماً سواء كنت في الصيف أو الشتاء ، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك ، وقل : اللهم اجعل صمتي فكراً ، ونطقي ذكراً ، ونظري عبراً ، وإلا فكل صمت لا فكرة فيه فهو سهو ، وكل نطق لا ذكر فيه فهو لغو ، وكل نظر لا عبرة فيه فهو غفلة .

---

(١) رواه أحمد .

السابع عشر : تذكـر قول الصادق المصدوق ﷺ عن علامات الساعة:

إذا أقبل عليك الصيف فانظر إلى الدنيا من حولك، وتذكر قول رسول الله ﷺ عن بعض أمارات الساعة،ومن ذلك:

[١]ظهور الكاسيات العاريات والجلادين الظلمة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:« **صنفان من أهل النار لم أراهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها،وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[١].

ومعنى كاسيات عاريات لأن ثيابهن لا تؤدي وظيفة الستر لرقتها وشفافيتها كأكثر ملابس النساء في هذا العصر، وقد بلغ التهتك مداه بارتداء ما يسمى بملابس البحر .

وفي الحديث إشارة إلى تحول الشرطة الذين يناط بهم حفظ الأمن إلى جلادين ظلمة يجلدون العباد ، وذلك في

(١) رواه مسلم .

آخر الزمان ، ففي الحديث : « **يكون في آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر ، يغدون في سخط الله، ويروحون في غضبه** »(١) ، وورد أيضاً : « **سيكون في آخر الزمان شرطة يغدون في غضب الله ، ويروحون في سخط الله ، فإياك أن تكون من بطانتهم** »(٢) ، وهذا كله قد ظهر وتحقق في زماننا ، وهو دليل من دلائل نبوة رسول الله ﷺ .

[٢] انتشار الزنــا :

عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « **إن من أشراط الساعة ... ويظهر الزنا** »(٣) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **سيأتي على الناس سنوات خداعات ... قال : وتشيع فيها الفاحشة** »(٤) .

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ

---

(١) رواه أحمد والحاكم والطبراني في «الكبير» بإسناد صحيح.
(٢) رواه أحمد والطبراني وهو صحيح .
(٣) رواه البخاري ومسلم .
(٤) رواه الحاكم وصححه الألباني .

يقـول : « **ليكونن من أمّتي أقـوام يسـتحلون الحـر**[١] **والحرير** »[٢] .

وجـاء في حـديث النواس رضي الله عنه : «**ويبـقى شـرار الناس يتهارجون فيها تهارج**[٣] **الحمر،فعليهم تقوم الساعة**»[٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قـال : « **والذي نفسي بيده لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها في الطريق ، فيكون خيارهم يومئذ من يقول لو واريتها وراء هذا الحائط** »[٥] .

[٣] ضياع الأمـانة ، وارتفاع الأسافل ، وإسناد الأمر إلى غير أهله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « **إذا أضيعت الأمانة فانتظر الساعة** ، قال: كيف إضاعتها يارسول الله ﷺ ؟ **قال : إذا أسند الأمر إلى غير أهله**

(١) الحر : الزنا .
(٢) رواه البخاري .
(٣) التهارج : أي الجماع وكثرة النكاح .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه أبو يعلي ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

فانتظر الساعة » [(١)] .

وروى حذيفة رضي الله عنه قال: « حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر ، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر « أصل » قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن ، ثم علموا من السُّنة ، وحدثنا عن رفعها قال : **ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل أثر الوكت ، ثم ينام النومة فتقبض ، فيبقى أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شيء ، فيصبح الناس يتبايعون ، فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة ، فيقال : إن في بني فلان رجلاً أميناً ، ويقال للرجل: ما أعقله ، وما أظرفه ، وما أجلده !! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان** ، ولقد أتى عليّ زمان ، وما أبالي أيكم بايعت، لأن كان مسلماً رده على الإسلام ، وإن كان نصرانياً رده عليَّ ساعيه ، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلاناً وفلاناً » [(٢)] .

---

(١) صحيح البخاري .

(٢) صحيح البخاري .

وقد حدث النبي ﷺ عن هذا الوقت الذي تختل فيه المقاييس ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أنها ستأتي على الناس سنون خداعات ، يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤمن فيها الخائن ، ويخون فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة** ، قيل : ما الرويبضة ؟ ، **قال : السفيه يتكلم في أمر العامة** »(١) .

وفي حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ المتفق عليه : « **وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها** » .

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أشراط الساعة أن يغلب على الدنيا لكع بن لكع ، فخير الناس يومئذ مؤمن بين كريمين** »(٢) وفي الصحيح : « **إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة** » .

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة**

---

(١) رواه أحمد ، وقال أحمد شاكر : إسناده حسن ومتنه صحيح ، وقال ابن كثير : وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه من هذا الوجه .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ، ورجال أحدهما ثقات كما قال الهيثمي .

حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع » [(١)] .

وهذه النصوص مع تطابقها مع الواقع من حولنا إلا أننا لا ندري فلعلها تسوء عما هي عليه الآن ، وإلى الله المشتكى من غربة الإسلام وسط أهله وبنيه .

[٤] ذهاب الصالحين،وقبض العلم،وظهور الجهل :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته** ـ أهل الخير والدين ـ **من أهل الأرض فيبقى فيها عجاجة** [(٢)] **لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً »** [(٣)] .

وفي الحديث : « **يأتي على الناس زمان يغربلون فيه غربلة ، يبقى منهم حثالة - الرديء - قد مرجت - اختلطت - عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا ، وشبك بين أصابعه »** [(٤)] .

---

(١) رواه أحمد وصححه الألباني .

(٢) عجاجة : الأراذل ومن لا خير فيه .

(٣) رواه أحمد والحاكم ، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٤) رواه أحمد والحاكم وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح .

وهذا كله يحدث عند قبض العلم واتخاذ الناس رؤوساً جهالاً يفتون بغير علم،وهذا أيضاً من جملة أشراط الساعة، ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ:« **من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل** ».

وقبض العلم يكون بقبض العلماء ، ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا** » (١).

ومن أشراط الساعة أن يلتمس العلم عن الأصاغر ، والأصاغر: هم أهل البدع كما بين ابن المبارك رحمه الله .

[٥] ظهور المعازف، وكثرة شرب الخمر، واستحلال ذلك :

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «

(١) رواه البخاري ومسلم .

سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ ، قيل : ومتى ذلك يا رسول الله ؟ **قال : إذا ظهرت المعازف والقينات** [(١)] » [(٢)] .

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **ليكونن من أُمَّتي أقوام يستحلون الحر** [(٣)] ، **والحرير ، والخمر ، والمعازف ، ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم** [(٤)] **لحاجة ، فيقولوا : ارجع إلينا غداً ، فيبيتهم الله ، ويضع العلم ، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة** » [(٥)] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من أشراط الساعة** ـ وذكر منها ـ : **ويشرب الخمر** » [(٦)] .

---

(١) القينات : إشارة إلى المغنين والمغنيات .
(٢) رواه ابن ماجه والطبراني وصححه الألباني .
(٣) الحر : الزنا .
(٤) يعني الفقير .
(٥) صحيح البخاري .
(٦) رواه مسلم .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«ولتستحلن طائفة من أُمّتي الخمر باسم يسمونها إياه»** (١) .

لقد أصبحت الخمر تُصنع وتُباع وتُشترى في ديار المسلمين ، وصار الناس يشربونها جهاراً ويسمونها بيرة ونبيذ وكينا ... وتقدم الراقصون والمغنون والممثلون على سائر فئات المجتمع باسم الفن ، وصاروا نجوماً يُهتدى بهم وتُتبع أخبارهم !!! .

[٦] تقارب الزمان والأسواق :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« لا تقوم الساعة حتى .... يتقارب الزمان »** (٢) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ، فتكون السنة كالشهر ، ويكون الشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كاليوم ، ويكون اليوم**

---

(١) رواه أحمد وصححه الألباني ، وقال ابن حجر : سنده جيد .
(٢) صحيح البخاري .

كالساعة ، وتكون الساعة كاحتراق السعفة » [(١)] .

واحتمال أن يكون تقارب الزمان حسياً ، وأن يكون معنوياً كما قال ابن أبي جمرة ، وذكر البعض أن التقارب بمعنى قلة البركة أو أن الناس يستقصرون أيام الرخاء التي تحدث في زمن المهدي وعيسى عليه السلام أو أن ذلك بسبب توفر وسائل المواصلات،أو هو عبارة عن تقارب أحوال أهل الزمان في قلة الدين، والأولى أن يقال عن تقارب الزمان : أنه قصره وسرعته سرعة حقيقية ، وذلك في آخر الزمان .

وقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **« لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق** [(٢)] **»** [(٣)] .

[٧] كثرة القتل :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **« لا تقوم**

(١) رواه أحمد والترمذي ، وصححه الألباني .

(٢) تتقارب الأسواق : تتقارب بسبب سهولة الإتصال وسرعة العلم بالتقلبات والأسعار .

(٣) رواه أحمد ، وقال الهيثمي : « رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سمعان وهو ثقة » .

الساعة حتى يكثر الهرج قالوا : وما الهرج يا رسول الله ؟ **قال : القتل القتل »** [١] .

وفي رواية البخاري عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « **بين يدي الساعة أيام الهرج** [٢] **يزول فيها العلم ، ويظهر فيها الجهل »** [٣] .

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **إن بين يدي الساعة الهرج**، قالوا :وما الهرج؟ **قال: القتل**، قالوا : أكثر مما نقتل ، إنا نقتل في العام الواحد أكثر من سبعين ألفاً، **قال: إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضاً** ، قالوا : ومعنا عقولنا يومئذ ؟! ، **قال : إنه لينزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان ، ويخلف له هباء من الناس يحسب أكثرهم أنه على شيء، وليسوا على شيء »** [٤] .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **والذي**

---

(١) رواه مسلم .
(٢) الهرج : القتل بلسان الحبشة .
(٣) رواه البخاري .
(٤) رواه أحمد وابن ماجه ، والحديث صحيح

نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قتل، فقيل : كيف يكون ذلك؟ قال: **الهرج، القاتل والمقتول في النار**»[(١)] .

وفي الحديث : « **إن أمتي مرحومة ليس عليها في الآخرة حساب ولا عذاب إنما عذابها في القتل والزلازل والفتن** »[(٢)] .

استشرى القتل هنا وهناك، وثارت الحروب بين المسلمين بسبب وبغير سبب ، واستخدمت الأسلحة الفتاكة لنشر الإشتراكية ... وتحقيق الزعامة ، وانتشرت العصابات التي روعت الآمنين ، وتحقق ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ ، وهو في اضطراد وتزايد فقد انتشر الهرج وعمت الفتنة ، ولم يدر القاتل فيم قتل ولا المقتول فيما قتِل .

[٨] ظهور الشرك في هذه الأمة :

عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع فيها إلى يوم القيامة ، و لا تقوم**

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني .

الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان » [(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة** [(٢)] » [(٣)].

وقد حدث ما أخبر عنه النبي ﷺ ،قد عُبدت الأصنام بجزيرة العرب، وطافت بها النساء كما كن يفعلن في الجاهلية، حتى تم تكسيرها في عهد الملك عبد العزيز آل سعود.

وفي الحديث: « **لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى،فقالت عائشة : يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾** [التوبة :٣٣] ، **أن ذلك تاماً ، قال : إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى كل من في قلبه**

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وصححه كما صححه الألباني .
(٢) ذي الخلصة : طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية .
(٣) رواه البخاري ومسلم .

مثقال حبة خردل من إيمان ، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم » [١] .

فلابد من سد ذرائع الشرك ، وعدم اتخاذ التصاوير والتماثيل بزعم أننا قد صرنا موحدين ، كما لابد من الحذر من صرف العبادة للمقبورين وغيرهم ، ورد حكم ما تنازعنا فيه إلى الله سواء تعلق بالسياسة أو الإقتصاد ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)** ﴾ [النساء:٦٥] .

[٩]ظهور الفحش،وقطيعة الرحم،وسوء الجوار :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش ،وقطيعة الرحم ،وسوء المجاورة »** [٢] .

وروى الطبراني في « الأوسط » عن أنس رضي الله عنه قال :

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

قال رسول الله ﷺ : « **من أشراط الساعة الفحش والتفحش ، وقطيعة الرحم** » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إن بين يدي الساعة ... قطع الأرحام** » .

[١٠] كثرة موت الفجأة :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ قال : « **إن من أمارات الساعة ... أن يظهر موت الفجأة** » [١] .

وموت الفجأة من علامات الساعة ، وهو كثير في زماننا يحدث للكبار والصغار ، ويسميه الناس بالسكتة القلبية .

[١١] تمني الموت من شدة البلاء :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيقول : ياليتني مكانه** » [٢] .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **والذي نفسي**

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » ، والضياء وحسنه الألباني .
(٢) صحيح البخاري ومسلم .

بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ، ويقول : يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر ، وليس به الدين إلا البلاء » [(١)] .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « **سيأتي عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت يباع لاشتراه** » .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **يأتي على الناس زمان يتمنون فيه الدجال،** قلت: يا رسول الله ـ بأبي وأمي ـ مم ذلك ؟ **قال** : **مما يلقون من العناء** [(٢)] » [(٣)] .

وهذه الأحاديث تخبر عن الواقع في آخر الزمان ، وإلا فقد نهى النبي ﷺ عن تمني الموت .

اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، والموت راحة لنا من كل شر ، وإن أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) العناء : هو الكرب والشدة .
(٣) رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه ، ورجالهما ثقات كما قال الهيثمي .

[١٢] كثرة النساء وقلة الرجال :

عن أنس رضي الله عنه قال : لأحدثنكم حديثاً لا يحدثكم أحد بعدي ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ويظهر الزنا ، وتكثر النساء ، ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد** »(١) ، وفي لفظ مسلم : « **ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد** » .

وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه : « **ويرى الرجل يتبعه أربعون امرأة يلذن به** »(٢) . وجاء في الحديث : « **من قلة الرجال وكثرة النساء** »(٣) .

وكل هذه الأحاديث توضح كثرة النساء ، وقلة الرجال قرب قيام الساعة ، ولايبعد أن يكون سبب ذلك كثرة المواليد من الإناث ، وقلة ذلك بالنسبة للذكور كما قال الحافظ ابن حجر : وقد قيل : أن سبب ذلك كثرة الفتوح

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .

فتكثر السبايا ، وقيل : سببه كثرة الفتن فيكثر القتل في الرجال لأنهم أهل الحرب دون النساء ، والأولى أولى ، والله أعلم .



صيفنا يحاكي غربتنا وهو صورة من ضياعنا

بعد هذا التَّطواف حول معاني الصيف مستصحبين في ذلك ما جاء في كتاب الله وفي سُنة رسول الله ﷺ ، وما كان عليه سلفنا الصالح من علم نافع وعمل صالح في الليل والنهار والصيف والشتاء ، نقول :

لقد تغير الحال وتبدل ، وصار الإسلام غريباً وسط أهله وبنيه ، فلم نترك سبباً من أسباب الدمار والهلاك إلا وأخذنا به ، وما دخل اليهود والنصارى جحراً إلا ودخلنا ورائهم وتبعناهم حذو القذة بالقذة ، وحذو النعل بالنعل ، واندرس الكثير من معالم الإسلام ، حتى لو خرج فينا رسول الله ﷺ لما عرف شيئاً مما ترك عليه أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ من دين الله ، أين الإسلام في سياستنا واقتصادنا ؟!! ، وفي اجتماعنا وأخلاقنا ؟!!! ، في حربنا وسلمنا ؟!!! وفي بيوتنا وأسواقنا ؟!!! ، وفي حياتنا الخاصة والعامة ؟!!! ، لقد صار الإسلام اسماً بلا رسم ، وكلمة بلا واقع ولا تطبيق ،

صار ديننا وكأنه ينادينا من مكان بعيد من يوم بدر وأُحد ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾ .

[آل عمران : ١٤٤] .

لقد حدث انفصالاً مريباً بين الإسلام كدين والمسلمين كواقع ، وبين معاني العلم والعمل ، والأرض والسماء ، والدنيا والآخرة ، وبعض العبادات والبعض الآخر ، وبعض الرجال والبعض الآخر ، فهؤلاء هم رجال الدين وأولئك هم رجال الدولة ، وانقسمت الساعات بحيث صار البعض يقول : ساعة لقلبك وساعة لربك ، والساعة التي هى لقلبه سيطيع فيها كل شيطان مريد ، فهو مع التمثيلية والفيلم والمسرحية تارة، ويشاهد الراقصة ويسمع الأغنية تارة أخرى ، ويصاحب النساء الأجنبيات تارة ثالثة ... والساعة التي هي لربه قد تجده يصلي ويصوم ويقرأ القرآن فيها ... أي أننا صرنا نعيش بوجهين وبمفهومين وبولاءين ، وجه لنا في

المسجد فيه أمارات التقى وعلامات الصلاح، والوجه الثاني فيه الغش والكذب والنفاق وكل صور الضياع ، وهذا شبيه بمنطق الجاهلية الأولى ، فقد كانوا يقولون: « اليوم خمر وغداً أمر » .

لقد كان الصيف في حياة السلف الصالح باعثاً على التأمل والتدبر ، دافعاً لمزيد من البر والتقوى ، وانعكس الأمر في حياتنا ، فالصيف وقت الراحة والإجازة واللعب واللهو والذهاب إلى شواطئ البحر ، حيث يختلط الرجال بالنساء ، والكل يرتدي ملابس البحر « المايوه » ويبدون قريباً مما ولدتهم أمهاتهم !!! ، وقد خُصصت بعض الأماكن للعراة تماماً !!!! وتنتشر في الصيف الملابس الضيقة وموضات العُري والخلاعة مما يصف العورات ويشف عنها ، وتمتلئ دور السينما والمسرح واللهو بالشباب والفتيات والكبار والصغار ، بحيث لا يكاد يُقارن من يُصلي ويدخل المساجد ، بمن يعبث ويلعب ، وتستحوذ مبارايات كرة القدم بمشاهدة أعداد غفيرة من المشجعين ، قد تزيد أحياناً

على المائة ألف متفرج في بعض المباريات !!! .

ولو ذهبنا نستطرد في رصد الواقع لطال بنا الحديث ، فواقعنا غربة وفتنة ، ولذلك صرنا أذلة بعد عزة أو ضعفاء بعد قوة ، يستأسد علينا الأراذل من اليهود والأمريكان بعد أن كنا سادة وقادة .

غربة وضياع بزعم الراحة والترويح :

مارسنا كل فنون الإنحلال والضياع ، وحفظ البعض الأغاني عن ظهر قلب ، وقرأ آخرون في الأدب الغريزي وأدب الجنس والأدب المكشوف ، وجهل هؤلاء وأولئك أمر دينهم ولم يحسنوا التلاوة في كتاب الله ، وبينما تعرفوا على تفاصيل حياة الراقصين والممثلين ، ولو سئل الواحد منهم عن سير الأنبياء والمرسلين والصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، لما تحرى إجابة ، لقد زادت نسبة الجرائم والفواحش وسط الناس عموماً ، والمتعلمين خصوصاً إذ أنهم لم يدرسوا شيئاً نافعاً ، فأمية المتعلمين ثمرة من الثمار المرة لهذا التعليم الذي خلا من روح الإيمان ثم يأتي فصل

الصيف وكأنه قد آن للطلبة والموظفين أن يرتاحوا من عناء الدراسة والعمل ، فيشدون رحالهم إلى المصايف وإلى دور اللهو والفسق والفجور ، مما تزداد به الطينة بلة ، وننتقل من داء إلى داء ويكون الإنسان كالمستجير من الرمضاء بالنار ، إن طلب الراحة للرجال غفلة ، كما قال عمر رضي الله عنه .

ولما سُئِل الإمام أحمد ... متى الراحة ؟، قال : عند أول قدم تضعها في الجنة ، وقال الشافعي: لم يزل أهل المروءات الواحد منهم تعباناً في كل زمان ، ولما سئل ابن الجوزي: هل لي أن أفسح لنفسي في مباح الملاهي؟ قال : عند نفسك من الغفلة ما يكفيها ، ولما رأى أحد العلماء إخواناً له يلعبون فسألهم فقالوا : قد فرغنا ، قال : أبهذا أُمر الفارغ ، قال : ﴿ **فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)** ﴾ [الشرح : ٧ – ٨] .

هل أدينا ما علينا ، وهل اجتهدنا في توفية الحقوق لأصحابها ، وإن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ،هل استفرغنا وسعنا في عمل الجنة ؟،

حذراً من ملامة النفس ، ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧] وهل لو جاءنا ملك الموت، وانتقلنا إلى ضيق اللحود، وسُئلنا : من ربك ؟ وما دينك ؟ وماذا تقول في الرجل الذي بُعث فيكم؟ تجيب بلسان فصيح : ربي الله ، وديني الإسلام ، والرجل الذي بُعث فينا هو محمد ﷺ آمنت به وصدقت ، أم أنك ستقول : هاها لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت ، وكيف توفق وتسدد وقد كانت حياتك إلحاداً وكفراً وزندقة .

تُرى هل سُينادى عليك غداً: ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣] ، أم سيقال: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون:١٠٨] ، إن الأمان غداً لمن باع قليلاً بكثير ونافذاً بباق، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين،وسيخلفها من بعدكم الباقون،وكذلك حتى تردوا إلى خير الوارثين، ألا ترون أنكم تشيعون في كل يوم وليلة غادياً ورائحاً إلى الله، قد خلع الأسلاب ، وفارق الأحباب ، ووُجه للحساب ، غنياً عما ترك فقيراً إلى ما قدم .

كيف تأمن على نفسك الغرق والموت ، وأنت تسبح ، وتشاهد العاريات والمتهتكات ، فيختم لك بخاتمة السوء ، وإنما الأعمال بالخواتيم .

إن الراحة والترويح عن النفس لابأس به ، إذا تم مع التأدب بالآداب الشرعية، فعن حنظلة الأسيدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ، ما تقول : قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنه رأى عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا « لاعبنا » الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، قال حنظلة : فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ، قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : **وما ذاك** ؟ قلت : يا رسول الله ، نكون عندك تذكرنا بالجنة حتى كأنها رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً ، قال رسول الله ﷺ : « **والذي**

نفسي بيده إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي ، وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن ياحنظلة ساعة وساعة ، وكرر هذه الكلمة (ساعة وساعة) ثلاث مرات » [(١)] .

فلا بأس بشيء من اللهو المباح للترويح عن النفس بحيث يكون كالملح للطعام ، وقد كان النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً ، ويأمر الركب أن ينطلق ثم يسابق السيدة عائشة رضي الله عنها ويقول : « **خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي** » ، وكان ﷺ هاشاً باشاً ضحاكاً بساماً ، وكان يتعوذ بالله من الهم والحزن ، وكذلك كان أصحابه رضي الله عنهم يمزحون ويضحكون ويلعبون وينتدرون ، وكان عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه يقول : إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فاختاروا لها طرائف الحكمة ، وقال : روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلب إذا أُكره عمى .

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : إني لأستجم نفسي بالشيء من

---

(١) رواه مسلم .

الباطل « اللهو المباح » ليكون أعون على الحق .... كل ذلك لا حرج فيه ، ولكن الحرج في أن تصبح حياة الإنسان لهواً أو لعباً ، أو أن ينشغل بذلك عن الواجبات أو أن يهزل في موضع الجد أو أن يتلهى بالمعاصي والمحرمات .

كيف تستعد النفوس بمعصية الله ؟! :

يسلك البعض مسالك الهلكة والتعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة ، ويضع ذلك بنفسه وبغيه ،كالحاكم مع المحكوم ، والوالد مع أولاده ، في الوقت الذي يزعم فيه هؤلاء أنهم ما فعلوا ذلك إلا لإسعاد النفس ، واستدخال السرور على من حولهم !!! وقديماً قالوا : ما عُصيَ الله إلا بالتأويل ، وإلا فكيف تسعد النفس بمعصية الله ، وقد قال تعالى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه :١٢٣-١٢٤] ، فما عند الله خير وسعادة وبركة وسعة رزق لا نناله إلا بطاعتنا له سبحانه، والإستقامة هي أعظم كرامة ، وهي الطريق الموصل لسعادة الدارين ، قال تعالى : ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

الْخَبِيرُ (١٤) ﴾[الملك:١٤] ،وقال: ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤] ، ما أجمل أن نستمتع بالشواطئ والبحور وسائر الطيبات دون تعد لحدود الله ، ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢] ، وما أحسن التعامل مع الكون بشرع الله والإنسجام معه ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤] ،لسنا من هواة تحريم الحلال ، فإن هذا قرين الشرك ، وأيضاً فلا ينبغي أن تتعدى حدود الله بزعم النوايا الطيبة والقلوب البيضاء !!! ، فلا بد من صحة العمل والحرص على تقوى الله، والإستقامة على كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ ، فالحلال ما أحل الله والحرام ما حرم الله ، والدين ما شرّع وليس لنا إلا أن نقول : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) ﴾ [البقرة:٢٨٥]، نضع شرع ربنا نُصب أعيننا ، فبه نصول وبه نجول ، لا ننخدع بكثرة زائفة عصت ربها ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦] ، ﴿ وَمَا أَكْثَرُ

النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[يوسف: ١٠٣]، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦)﴾[يوسف: ١٠٦] ، فاعرف الحق تعرف أهله ، واعرف الباطل تعرف من أتاه ، واسلك طريق الهدي ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين .

إن الإستئناس الذي يحدث بكثرة العصاة والمذنبين سينقطع وينتهي في نيران الجحيم، ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) ﴾ [ق :٣٠]، ولا أسوة في الشر ولا انبهار بواقع صارت السعادة فيه وهماً عريضاً كالسراب [١] ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) ﴾ [النور : ٣٩] .

كيف تسعد المتبرجة وقد خالفت أمر خالقها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

---

(١) راجع كتابنا : « كيف تنال السعادة » .

رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب:٥٣]، وقال: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور:٣٠]، وقال: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾[الأحزاب:٣٣]، فالمرأة مأمورة بالصيانة والتحفظ والتحجب والتستر، والزي الذي ترتديه يجب أن يكون فضفاضاً غير ضيق وأن يضرب من الرأس حتى القدم، ولا يشف عما تحته من البدن، ولا يشابه زي الرجال أو الكافرات، ولا يكون ثوب شهرة أو زينة، فتتق الله هذه المتبرجة التي تخطت الشرع والعقل والفطرة، بل صار تبرجها أشد من تبرج نساء الجاهلية الأولى، ولتعلم أنها مأمورة بتغطية القدم، فكيف تجيز لنفسها ملابس البحر وموضات العري والخلاعة، وتبرير ذلك بحر الصيف يقمعه قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة:٨١].

كيف يسعد هؤلاء الذين اختلطوا بالنساء في الشواطئ

والنوادي وهنا وهناك بزعم الصداقة البريئة ، وقد وردت النصوص الشرعية تأمر بالحجاب وغض البصر والإستئذان وتحذير المرأة من كثرة الخروج وتنهى عن الخلوة بالأجنبيات ، وتحذر من المصافحة والسفر بدون محرم واستعمال المرأة للطيب والتعطر عند الخروج درءاً للفتنة بين الرجال والنساء ، بل هذه المباعدة مطلوبة حتى في أماكن العبادة ، فالمرأة تطوف بالكعبة من خلف صفوف الرجال ، وخير صفوف الرجال في الصلاة أولها ، وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها ، وشرها أولها ، وفي الحديث : « **المرأة عورة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان** » ، وفي رواية : « **وأقرب ما تكون من ربها إذا هي في قعر بيتها** » [(١)] .

كيف يسعد هذا الذي يشاهد المباريات الرياضية بكل خشوع وانتباه [(٢)] ، وهو لا يؤدي الصلاة ، وإذا صلى فبغير خشوع ولا تدبر ، صلاته نقر وفي البيت، ولا يكاد يؤديها

---

(١) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .
(٢) راجع كتابنا : « ضوابط شرعية للألعاب الرياضية » .

في المسجد في جماعة حيث ينادى بها ، ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا** ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء:١٠٣] ، ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾ [البقرة:٢٣٨] ،وقال تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ** ﴿٤﴾ **الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴿٥﴾ **الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ** ﴿٦﴾ **وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ** ﴿٧﴾ ﴾ [الماعون : ٣-٧] ، وقد ورد أن « **من فاتته صلاة العصر فقد حبط عمله** » .

كيف يسعد من انشغل بالدنيا عن الدين ، ولم يهتم بأمر المسلمين ،وصارت حياته عبارة عن كأس وغانية، وفيلم وتمثيلية ومسرحية، ومشاهدة راقصة وسماع أغنية [(١)] ، وصارت همته في الشهوات والملذات ومتابعة الموضات، وتعاطي المخدرات ، وإن سعد هذا بانحرافه ، فهي لذة ساعة وألم دهر .

وكيف نسعد كأمة ، وقد صددنا عن سبيل الله ، ولم نطبق شرعه ، فانفتحت أبواب الشر والفساد ، وأقل القليل

---

(١) راجع كتابنا « فنون أم مجون » .

من ذلك نذير هلاك ، قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الطلاق: ٧-٩] ، وقال: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء: ١٦] ،وقال : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[الأنعام: ١٥].



الخاتمة

أيها الناس إن الأمال تُطوى والأعمار تفنى، والأبدان تحت التراب تبلى، وإن الليل والنهار يتراكضان كتراكض البريد، ويقربانِ كل بعيد ويبليان كلِ جديد، وفي ذلك عباد الله ما يُلهى عن الشهوات ،ويسلى عن اللذات ، ويرغب في الباقيات الصالحات، إن الله كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب الله عليه البقاء، ولا بقاء لما كتب الله عليه الفناء ، فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة، واقهروا طول الأمل بقصر الأجل .

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « ما منكم من أحد إلا وهو ضيف ، وماله عارية ، فالضيف مرتحل ، والعارية مردودة » .

وقال أحد الحكماء : ليس للدّين من عِوض ، ولا من الإيمان بدل ، ولا مِن الجسد خَلَف ، ومن كانت مطيته الليل والنهار ، فإنه يسار به وإن لم يسر .

أيها الناس إن سهام الموت قد صوبت إليكم فانظروها ،

وفتن الدنيا قد أحاطت بكم من كل جانب فاتقوها ، فلا تغتروا بما أنتم فيه من حسن الحال فإنه إلى زوال ومقيمة إلى ارتحال ، أين من تقدمكم وكان قبلكم ممن أمَّل أملكم وسعى سعيكم وعمل عملكم ؟ ، أين الذين بنوا المدائن وملأوا الخزائن واستعدوا لما هو عندهم كائن ؟ .

قال أبو محمد الزاهد : خرجنا في جنازة بالكوفة ، وخرج فيها داود الطائي فتكلم ، فقال : « من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ، ومن طال أمله ضعف عمله ، وكل ماهو آت قريب » .

واعلم يا أخي أن كل شيء شغلك عن الله فهو عليك مشؤوم، واعلم أن أهل القبور إنما يندمون على ما يتركون ، ويفرحون بما يقدمون ، فما عليه أهل القبور يندمون ، أهل الدنيا عليه يقتتلون ، وفيه يتنافسون وعليه يتزاحمون .

وقال البعض : ورع ابن آدم أن أمامه ثلاثة أشياء: موت كريه المذاق ، ونار أليمة العذاب ، وجنة عظيمة الثواب .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : التوءدة خير في كل شيء إلا في أمر الآخرة، والتؤدة: التثبت والتأني والرفق في الأمور.

وكان الحسن يقول في موعظته: المبادرة المبادرة فإنما هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم الأعمال التي تتقربون بها إلى الله عز وجل ، رحم الله امرأً نظر لنفسه ، وبكى على ذنبه ثم قرأ هذه الآية : ﴿ **إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا** ﴾ [مريم: ٨٣] ، يعني الأنفاس ، آخر ذلك خروج نفسك وفراق أهلك .

وقال بعضهم : اغتنم تنفس الأجل ، وإمكان العمل ، واقطع ذكر المعاذير والعلل ، فإنك في أجل محدود ، ونفس معدود ، وعمر غير ممدود .

وقال آخر : اعمل عمل المرتحل ، فإن حادي الموت يحدوك ليوم ليس يعدوك ، فيطرحك في حفرة لا يخافك فيها أحد ولا يرجوك .

وكتب رجل إلى بعض إخوانه ، أما بعد : فإن الدنيا حلم ،والآخرة يقظة ، والموت متوسط بينهما ، ونحن في أضغاث أحلام ، والسلام .

وكتب محمد بن يوسف إلى أخ له ، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإني محذرك

من دار منُقلبك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك ، فتصير في باطن الأرض بعد ظهرها ، فيأتيك منكرٌ ونكير ، فيقعدانك فينتهرانك ، فإن يكن الله معك ، فلا فاقة ولا حاجة ولا بأس ولا وحشة ، وإن يكن غير ذلك ، فأعاذني الله وإياك يا أخي من سوء المصرع وضيق المضجع .

ثم تبلغك صيحة النشور ، ونفخة الصور ، وقيام الخلائق لفصل القضاء ، وامتلأت الأرض بأهلها ، والسموات بسكانها فباحت الأسرار، وسُعّرت النار، ووضعت الموازين ، ونشرت الدواوين ﴿ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الزمر:٦٩] ، فكم من مفتضح ومستور، ومُعذَّب ومرحوم ، وكم من هالك وناجٍ ، فيا ليت شعري ما حالي وحالك يومئذ فإن في هذا ما هدم اللذات ، وسلَّى عن الشهوات وقصَّر من الأمل ، وأيقظ النائم ، ونبه الغافل .

أعاننا الله وإياك على هذا الخطر العظيم ، وأوقع الدنيا من قلبك وقلبي موقعها من قلوب المتقين ، فإنما نحن له وبه ، والسلام .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « ويل لمن كانت الدنيا أمله ، والخطايا عمله ، عظيم بطنته ، قليل فطنته ، عالم بأمر دنياه ، جاهلٌ بأمر آخرته » .

وقال العلاءُ بن زياد : لِيُنزِّل أحدُكم نفسه أنه قد حضره الموت وأنه استقال ربه فأقاله ، فليعمل بطاعة الله .

وقال آخر : « عجبت لمن يحزن على نقصان ماله ، ولا يحزن على نقصان عمره » .

قال بعض الحكماء : « السعيد من صرف الله أمله إلى ما يبقى ، وقطعه عما يفنى ، وأعانه في دار الفناء على عمارة دار البقاء ، والويل الطويل ، والحسرة التي لا تزول لمن أعرض عن الكتاب والسُّنة، ولم ينهى نفسه عن الهوى.

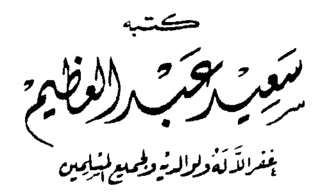
وقال عيسى بن مريم عليه السلام : « عجبت لثلاثة: لغافل وليس بمغفول عنه ، ومؤمل دنياه والموت يطلبه ، وبانٍ قصراً والقبر مسكنه » .

وروى عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « أخوف ما أخاف عليكم إثنان : طول الأمل ، واتباع الهوى ، فإن طول الأمل ينسى الآخرة، واتباع الهوى يصد عن الحق » .

اللهم يامن لا تضره المعصية ، ولا تنفعه الطاعة ، أيقظنا من نوم الغفلة ، ونبهنا لاغتنام أوقات المهلة ، ووفقنا لمصالحنا ، واعصمنا من قبائحنا ، ولا تؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا ، وأكنّته سرائرنا من أنواع القبائح والمصائب التي تعلمها منا ، وامنن علينا يا مولانا بتوبة تمحو بها عنا كل ذنب ، واغفر لنا ولوالدنيا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .





فهرس

